أبو عبيدة الخزرجى
وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس
من خلال كتابه (مقامع الصلبان)
دراسة وصفية تحليلية مقارنة

تأليف
عبد الرحمن الطبيب

تقديم الدكتور
سعيد كفايتي

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م



للطباعة والنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية - زهراء مدينة نصر - المرحلة الثانية
تليفون: 24106748 - 01000135406
www.dar-elhekma.com
info@dar-elhekma.com

2013/17734	رقم الإيداع
978-977-728-040-2	I.S.B.N



إهداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان.

إلى القلب الناصع بالبياض والدتي الحبيبة.

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة.

إلى من حصد الأشواك عن دربي والدي العـزيـز.

إلى إخوتي الأعزاء

أهدي هذا الكتاب المتواضع

عبد الرحمن الطبيب




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

تقديم

بقلم الدكتور/ سعيد كفايتي

يُعتبر كتاب "أبو عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس من خلال مقامع الصلبان" باكورة أعمال الباحث عبد الرحمن الطبيب. وتكمن أهمية هذا الكتاب في اختيار الموضوع وفي المنهج الذي ارتضاه الباحث للتعامل مع المادة العلمية التي كانت بين يديه.

ولا نحتاج إلى كثير من العناء للتأكيد على إسهام علم الأديان المقارن، قديما وفي العصر الحديث تحديدا، في مد جسور التواصل بين الحضارات المختلفة، وخلق أرضية صلبة للحوار بين الأديان الكتابية منها(اليهودية والمسيحية والإسلام) وغير الكتابية إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك. فلا مجال للحديث عن حوار حقيقي للأديان تجهل الأطراف المشاركة فيه بشكل مقصود أو غير مقصود الأديان الأخرى. وللأسف الشديد ففي الوقت الذي تتصاعد فيه على المستوى العالم العربي والإسلامي الدعوة للانخراط في حوار الأديان نلاحظ، في المقابل، أن دراسة الأديان دراسة علمية تكاد أن تكون مغيبة في برامجنا التعليمية، ولا تحتل إلا حيزا ضيقا من اهتمامات الجامعات في الشرق العربي وشمال أفريقيا. فإذا ما قارنا أنفسنا بعلماء الأديان في الغرب فلن نجد حرجا في الاعتراف بأننا لا نزال نخطو الخطوات الأولى في هذا القبيل من العلم المعقد والمتشابك والغامض، والذي لا يزال في وعينا ولا وعينا الجمعي أسير الكثير من الأفكار المسبقة والأحكام الجاهزة.

ومن هنا فإن مسؤولية المشتغلين العرب والمسلمين بعلم الأديان المقارن أصبحت الآن مزدوجة: من المفروض عليهم أن يسعوا أولا إلى تأسيس هذا العلم الجديد واستنباته في فضاء البحث العلمي. والمقصود بعلم الأديان أو علم الأديان المقارن ذلك النشاط العقلي المنظم المهتم بدراسة الأديان نشأة وتاريخا وتطورا، وعقائد ومذاهب وطوائف، وبدراسة أثرها وتأثيرها على الواقع الإنساني في جميع أبعاده وكافة جوانبه دراسة تقوم على مناهج علمية وتعتمد على مصادر أساسية وتهدف إلى الفهم والمعرفة قبل النقد والمقارنة.

غير أن الخطوة الأولى لن تكتمل، في واقع الأمر، إلا بالالتفات إلى نشاط علماء المسلمين في مجال الأديان. فقد اهتم الإسلام في وقت مبكر بالأديان الأخرى، وخاصة اليهودية والمسيحية. لكن سرعان ما سيتسع هذا الاهتمام في ظل الحضارة العربية الإسلامية الناشئة ليشمل أيضا الأديان غير الكتابية. و لاشك في أن القرآن الكريم باعتباره يحمل رسالة مصدقة لما سبقها من الأديان، ومصححة له، ومهيمنة عليه، كان قد وضع اللبنة الأولى لهذا العلم.

والثابت أن نشاط علماء المسلمين في مجال الأديان بلغ في فترة قياسية، وبمعزل عن التأثيرات الخارجية، درجة كبيرة من التنوع بحيث سيكون من الظلم أن نحصره فقط في كتابات الجاحظ وابن حزم والقرافي وابن تيمية وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم. فالمادة العربية المتعلقة بعلم الأديان تنتشر بشكل منظم أو غير منظم في حقول معرفية مختلفة مثل علم الكلام والفلسفة والتاريخ والرحلات والتفاسير والسيرة النبوية والموسوعات والمعاجم. إلا أن الكتب التي اتخذت من الأديان موضوعا أثيرا لها ستظل، مع ذلك، محتفظة بأهميتها التي لا يمكن التقليل منها. ومن الواجب أن نعمد، في إطار الالتفات إلى هذه الأعمال، إلى قراءتها بعين فاحصة تنأى عن التبجيل المبالغ فيه، وتحترس في الوقت نفسه من إنكار أصالتها. وهو لعمري مسلك صعب. لكن لا مناص من بذل الجهد، وإعمال الفكر لكي نربط هذا التراث بظروفه التاريخية، ولكي نعرف مدى قربه أو بعده بعلم الأديان كما نفهمه الآن ولكي نجد له في الأخير موطئ قدم ثابت في الفكر الإنساني.

ويندرج هذا الكتاب الموسوم بأبي عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس من خلال مقامع الصلبان ضمن الأعمال الأكاديمية التي تتطلع إلى تأصيل علم الأديان في الثقافة العربية الإسلامية. وعنصر القوة في هذا العمل يتمثل في أن صاحبه تلقى في مساره الجامعي تكوينا علميا صلبا في مقارنة الأديان ساعده، دون شك، في اختبار مدى معرفة أبي عبيدة الخزرجي بالكتاب المقدس، وصلته بمن سبقوه من العلماء المسلمين، وأثره فيمن جاءوا بعده. وكان اختيار هذه الشخصية الفذة موفقا. فهو مؤلف كتاب "مقامع الصلبان" المنتمي إلى الأندلس الإسلامية إبان القرن السادس الهجري. وما أدراك ما

الأندلس الإسلامية التي كانت على امتداد قرون من الزمن ملتقى متميزا لحوار الحضارات والأديان. وخلافا لابن حزم الأندلسي الذي نال نصيبا كبيرا من اهتمام الباحثين عربا ومسلمين وغربيين فإن حظ أبي عبيدة الخزرجي من الدراسات الأكاديمية الحديثة يكاد أن يكون منعدما أو لا يتناسب، إطلاقا، مع أهمية كتابه "مقامع الصلبان". و لا يضيره في شيء أن يكون تأليفه لهذا الكتاب في مرحلة مبكرة من عمره، ولا أن يكون نتيجة ظروف خاصة. ولم يجد أبو عبيدة الخزرجي أي حرج في ذكرها و في الإفصاح عنها. إذ يظهر من خلال مقدمة الكتاب أنه أقدم على كتابته حينما كان أسيرا لدى النصارى فبعث إليه أحد القساوسة القوط رسالة يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية. فسارع إلى الرد عليه مفندا ادعاءاته الباطلة.

وما ينبغي أن نقف عنده، ونحن نتفحص "مقامع الصلبان"، هو استعداد العلماء المسلمين آنذاك للانخراط الفعلي في أي حوار ديني مع الآخر كأن معرفتهم بالأديان الأخرى وبكتبها "المقدسة" تمثل بالنسبة إليهم جزءا من ثقافتهم العامة. وما أشد ما نفتقد إلى هذه الثقافة في عصرنا الحالي و لاسيما في عالمنا العربي والإسلامي حيث يغذي الجهل المتصاعد بروح الإسلام وبقيمه الإنسانية ثقافة الإقصاء !

لن أحدثكم عن أبي عبيدة الخزرجي و لا عن محتوى كتاب "مقامع الصلبان" و لا عن موقعه ضمن علم مقارنة الأديان فيراع الطبيب سيال. اجلسوا، ضعوا الأحزمة، افتحوا هذا الكتاب استعدادا لانطلاق رحلة استكشاف عالم "مقامع الصلبان". قراءة ممتعة.

د. سعيد كفايتي

(الدراسات اليهودية ومقارنة الأديان)

مختبر حوار الحضارات ومقارنة الأديان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس/ المغرب.

المقدمة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الذي خلق الناس أطيافا وشيعا شتى، ونظمهم في سلك التدافع أعمارا وأفكارا وهو القائل في محكم كتابه العزيز ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ **[هود]**، والصلاة والسلام على المبعوث حجة وحكما وهدى، المبين طرق الاستدلال الصحيحة من مزالق الهوى، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على النهج وارتوى.

فأما بعد:

لقد شهدت الأندلس إبان القرنين الخامس والسادس الهجريين موجة من الصراع الفكري والعقدي بين العلماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب، خاصة بعد توالي سقوط مدن الأندلس واحدة تلوى الأخرى، مما جعلها محط أطماع كثير من الموجات التنصيرية التي اجتاحت مدنها خاصة مدينة طليطلة، التي عرفت دعوات تنصيرية تزعمها قساوسة كانوا يسعون إلى إضعاف عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين، وعلى رأس هؤلاء القس "**حنا مقار العيساوي**"، الذي كان لا يتردد في إثارة الشبه حول الإسلام،خاصة وأن هؤلاء المسلمين لم يكونوا على قدر كبير من الاطلاع على معتقدات أهل الكتاب حتى يتمكنوا من الرد عليها، فكانت ردودهم مقتصرة على ألفاظ تكون تارة مهذبة وأخرى تصل إلى حد التراشق بكلمات الكفر والهرطقة والدعاء عليهم بالهلاك والدمار وتيتيم الأطفال...- وهو أسلوب كان سائدا إلى حد قريب في صفوف بعض دعاة المسلمين- مما جعلهم يبتعدون عن منهج الجدل والمناظرة ومن ثم توالي الهجمات التنصيرية في ظل غياب من يكبح جماح شبهاتهم وافتراءاتهم.

وفي ظل توالي هجمات القساوسة التنصيرية على مدن الأندلس وإثارة الشبه حول عقائد الإسلام وتعاليمه السمحة، برز أحد علماء الأندلس الذي كان على اطلاع كبير على الديانة النصرانية وثقافتها وتاريخها ولغتها...، وهو العالم الشاب أبو عبيدة الخزرجي، الذي أخذ يجيب عن الأسئلة التي كان يلقيها القسيس حنا مقار العيسوي على المسلمين،



فدخل معه في جدال رفيع المستوى احتكم فيه إلى مناهج علمية دقيقة بعيدا عن التعصب، منطلقا من قاعدة جدلية"بلسانك أدينك"، فدار جدالهما حول كثير من القضايا العقدية من قبيل عقيدة التثليث ومسألة صلب المسيح، وتحريف وغيرها من المسائل العقدية التي بنى عليها الخزرجي منهجه في الرد على النصارى من خلال رسالته، فكتب بذلك كتابه الجدلي " **مقامع الصلبان**"، الذي سأعرض لبعض ما جاء فيه إن شاء الله ضمن ما سيأتي من مباحث.

وقد سخر الله لي أن يكون هذا البحث تحت عنوان:"أبو عبيدة الخزرجى وجهوده في مجادلة النصارى بالأندلس من خلال كتابه"مقامع الصلبان"- دراسة وصفية تحليلية مقارنة – الذي تناولت فيه جهود الخزرجي في الرد على النصارى بالأندلس.

ويعود اختياري لهذا الموضوع – بعد فضل من الله وتوفيقه – إلى دافعين اثنين:

أوله ذاتي ويتمثل في ميلي القوي إلى كل ما له علاقة بالجدل الديني، خاصة الأندلسي.

وثانيه موضوعي ويتمثل في قلة الدراسات – بل انعدامها في كثير من الأحيان- حول شخصية أبي عبيدة الخزرجي.

كما حاولت في هذا الكتاب أن أجيب على إشكالات ثلاث:

الأولى: ما هو المنهج الذي اتبعه الخزرجي في الرد على النصارى؟

الثانية: هل انفرد الخزرجي في جدال النصارى بمنهج خاص به أم تأثر بمن سبقه من علماء الجدل الديني؟

الثالثة: هل أثر الخزرجي فيمن جاء بعده من علماء الجدل الديني؟

وقد اعتمدت في تحليل فصول هذا الكتاب على مناهج ثلاث: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي ثم المنهج المقارن.

أما منهاجي في البحث فقد حاولت فيه ذكر أهم القضايا التي تناولها الخزرجي في رده على رسالة القس القوطي ومقارنتها بما ذكره غيره من علماء الجدل، للوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم.

وأشير هنا إلى أني لم أتعرض إلى كل القضايا التي أثارها الخزرجى، فقد حاولت قدر المستطاع الوقوف عند القضايا البارزة فقط من قبيل التثليث والصلب...وكذا بعض الشبهات التي أثارها النصارى من قبيل انتشار الإسلام بالسيف...حتى لا أعيد محتوى الكتاب كما هو.

كما قمت بتخريج نصوص التوراة والإنجيل التي ذكرها الخزرجى بلفظها أو بمعناها، من نسخة الكتاب المقدس الحديثة.

وقد اقتضت مني طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول فخاتمة وتذييله بفهرس يشمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والفرق والجماعات ولائحة للمصادر والمراجع.

أما المقدمة وتناولت فيها أهمية الموضوع ودوافع اختياره، والإشكالية التي قام عليها البحث، وخطة البحث، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة للموضوع ثم بعض الصعوبات التي واجهتني في البحث.

وأما **الفصل الأول** فعنونته بـ **"التعريف بأبي عبيدة الخزرجي"** وقسمته إلى ثلاثة مباحث، ويضم كل مبحث بدوره مطالب، وقد حاولت فيه تقديم نبذة موجزة عن شخصية أبا عبيدة الخزرجي والتعريف بكتابه " مقامع الصلبان"، مشيرا إلى تعدد عناوين الكتاب.

وأما **الفصل الثاني** فعنونته بـ **"جهود أبي عبيدة الخزرجى في نقد الكتاب المقدس"** واشتمل على ثلاثة مباحث، وتحت كل مبحث مطالب، حاولت من خلاله الكشف عن بعض جهود الخزرجي في نقده للكتاب المقدس والرد على بعض شبهات القسيس.

وأما **الفصل الثالث** والأخير من هذا البحث فعنونته بــ**" أبو عبيدة الخزرجي بين التأثير والـتأثر"** واشتمل على مبحثين ومطالب، قارنت فيه بين ما جاء به الخزرجي وغيره من العلماء سواء الذين سبقوه أو الذين جاؤوا بعده، للوقوف على جوانب الأثر والتأثر في علمه.

أما ما يتعلق بالدراسات التي تناولت شخصية أبي عبيدة الخزرجى قليلة جدا، -[1]- فباستثناء كتاب **"الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم- الخزرجي)"** **للدكتور خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي**، لم أعثر على أي دراسة حول هذا العالم، كل ما في الأمر هو مجرد تحقيق لكتابيه الأول تحت عنوان: **"مقامع الصلبان[2]"** الذي حققه **الدكتور محمد شامة** تحت عنوان **"بين الإسلام والمسيحية"**، وكتاب للخزرجي في علوم القرآن تحت عنوان: **"نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه"** الذي حققه الأستاذ **محمد عز الدين المعيار الإدريسي**.

فالله أسأل أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتي، وأن يكون إضافة جديدة إلى خزانة مقارنة الأديان حتى ينتفع به الجميع، وصلى الله على سيدنا محمد عليه عليه أفضل الصلاة والسلام.

عبد الرحمان بن عمرو الطبيب

(1) أقصد الدراسات التي خصصت لتناول الخزرجي بمعزل عن الأعلام الآخرين.

(2) أطلقت على هذا الكتاب عناوين كثيرة، للتفصيل أكثر في الموضوع، ينظر: المبحث الثاني من الفصل الأول في هذا الكتاب.

الفصل الأول
التعريف بأبي عبيدة الخزرجي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة الخزرجي ومكانته العلمية ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "مقامع الصلبان".

المبحث الثالث: عصر أبي عبيدة الخزرجي.

المبحث الأول: حياة الخزرجى ومكانته العلمية ووفاته

المطلب الأول: اسمه ومولده وكنيته ونسبه

1- اسمه:

هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة،[1] محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، بن محمد بن عبد الحق الخزرجى القرطبي[2].

2- مولده:

ولد الإمام ابن أبي عبيدة الخزرجى -رحمه الله- سنة 519هـ[3].

3- كنيته:

يكنى بأبي جعفر[4].

4- نسبه:

ينتهي نسب أبي عبيدة الخزرجى إلى الصحابي "سعد بن عبادة [5] بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج[6]".

---

(1) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت لبنان، السفر الأول،القسم الأول،ص:239.

(2) معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ/ 1993م،الطبعة الأولى، ج1، ص:170.

(3) المرجع نفسه، ص. 170، وينظر: الذيل والتكملة، ص.241.

(4) نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،ط1، 1398هـ1989-م، ج1-2، ص:69.

(5) الذيل والتكملة، ص:239.

(6) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ص:366.

المطلب الثاني: نشأته وأسرته

تتفق جل كتب التراجم[1] التي تحدثت عن شخصية ابن أبي عبيدة الخزرجى، عن خلوها من الحديث عن طفولته وتربيته، كل مافي الأمر هو مجرد إشارات بسيطة عنه مستقاة من بعض الكتب التي ذكرت بأن الإمام الخزرجى نشأ نشأة علمية "حيث حرص على تحصيل العلم منذ صغره"[2].

أما عن أسرة الخزرجى، فقد كانت ذات شرف ونسب عريق يشهد لذلك ما جاء في مقدمة كتاب بين "الإسلام والمسيحية"، بأنه "صبي من آل عبد الحق الخزرجى".[3]

هذا وقد ذكرت بعض "كتب التراجم" عددا من الأعلام المقربين من أبي عبيدة الخزرجى الذين يحملون لقب "الخزرجى" نذكر منهم على سبيل المثال:

* أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الحق الخزرجى(421هـ)، المقرئ من أهل قرطبة،يكنى أبا جعفر(ت511هـ)[4].

* عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن أحمد أبو محمد الخزرجى

* القرطبي(ت 604هـ)[5].

---

(1) نذكر على سبيل المثال:الذيل والتكملة للمراكشي، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، نيل الابتهاج بتطريز الديباج أحمد بابا التنبكتي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1393هـ- 1973م.

(2) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس(ابن حزم - الخزرجي)، د.خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص.42-43.

(3) مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق عبد المجيد الشرفي،الجامعة التونسية، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ص.7.

(4) ينظر: الصلة، ابن باشكوال، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ- 1989م، ج2،ص.127.

(5) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج1، ص.325.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

1- شيوخه:

تتلمذ الإمام أبى عبيدة الخزرجى على يد ثلة من الشيوخ، الذين كان لهم الفضل في تنشئته العلمية، وقد ذكرت لنا كتب التراجم عددا من شيوخه، نذكر منهم:

- ابن أبي الخصال (456هـ - 540هـ):

- هو محمد بن مسعود بن خالصة، بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، وقد سكن قرطبة وغرناطة، عرف ب"ذو الوزارتين"[1] نظرا لتبحره في صناعة الحديث، والمعرفة برجاله. عرف عنه أنه كان ملما بكل ما يتصل باللغة العربية من لغة وأدب ونسب[2]...

- أبو بكر بن العربي (468 - 543):

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، من أهل إشبيلية، ختام علماء الأندلس وأخر حفاظها وأئمتها، رحل إلى بغداد ثم إلى مكة، فسمع من عدد كبير من

الشيوخ كالحسين بن علي الطبري وأبي الحسن علي بن أيوب البزازي، وله تصانيف كثيرة منها:"المسالك في شرح موطأ مالك"و"المحصول في أصول الفقه"[3]

- ابن الطراوة المالقي (ت528):

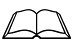
هو أبو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي المالقي، كان أحد المشهورين بإتقان صناعة النحو في ألمرية، حتى أطلق عليه نحوي ألمرية،[4]"وقد برزفي علوم اللسان

(1) قلائد العقيان، الفتح ابن خاقان، Oriental Institute Library Ocsford University، ص.185.

(2) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تقديم الأستاذ يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م 2، ج2، ص.269-288.

(3) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق:مأمون بن محيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1996م، ص:376/ 378.

(4) المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف 1119،كورنيش النيل، القاهرة، 1955، ج2، ص.208.



نحوا ولغة وأدبا فكان له أراء في النحو انفرد بها وخالف فيها جمهور النحاة...وعد إمام العربية في عصره"[1].

- أبو الحسن شريح بن محمد (451 - 539):

ابن أحمد بن شريح بن أحمد الرعيني المقرئ، من أهل إشبيلية، وخطيبها، يكنى أبا الحسن، كان من المقرئين والأدباء المحدثين، عرف ببلاغته وحسن حفظه وفضله وسعة خلقه[2].

- أبو القاسم بن ورد التميمي (465- 540):

هو" أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله ابن ورد التميمي، من ألمرية،يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ورد"[3]

كان متمكنا من النحو والتاريخ ومتبحرا في علم الأصول والتفسير، تقلد الرياسة في مذهب مالك، عرف بإتقانه لفن المناظرة.[4]

- أبو جعفر بن عبد الرحمن البطروجي (ت 542):

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباري الهواري أبو جعفر البطروجي الحافظ، من أهل قرطبة،عرف عنه أنه كان كثير الحفظ للنصوص، رغم قلة معرفته بلسان العرب[5].

- أبو الحسن عبد الرحيم بن قاسم بن محمد (530-543):

أبو محمد الحجاري، كان من الشيوخ المقرئين، تتلمذ على يد أحمد بن محمد الحور الحجاري، عرف عنه أنه كان كثير الحفظ والذكاء،كثير الكتب[6].

---

(1) مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح، دة.مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م، ص.125.

(2) الصلة، ابن باشكوال، ج:1، ص.366-367.

(3) الديباج المذهب، ابن فرحون، ص.104 - 105.

(4) المرجع نفسه،ص:104-105.

(5) ينظر: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ابن الأبار، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس، 1885، ص.26-30.

(6) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري الدمشقي الشافعي، ص.345، وينظر أيضا: الصلة، ابن باشكوال، ج:1، ص.567.

2 - تلاميذه:

بعد أن تلقى أبو عبيدة الخزرجى العلوم على يد ثلة من الأساتذة الذين جعلوا منه إماما متبحرا في شتى العلوم، انتقل من مرحلة التلقي إلى مرحلة التلقين، ومن بين التلاميذ الذين أخذوا عنه نذكر:

- أبو سليمان بن حوط الله (560-621):

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الآندي، يكنى أبا سليمان، رحل إلى مشارق الأرض ومغاربها طلبا للعلم والمعرفة، فكان إماما حافظا للقرآن[1].

- أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن (537-625):

ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن بقي بن مخلد القرطبي يكنى أبو القاسم،فقيه كاتب ومحدث[2].

- القاضي أبو الحسن علي بن إبراهيم (555-632):

ابن علي بن يوسف بن إبراهيم الجذامي المعروف بابن القفاص، سمع بمالقة وغرناطة وقرطبة، اشتهر بالضبط وحسن التقيد لما يرويه، وقد اختصر كتاب "الاستدراك" لابن عبد البر[3].

---

(1) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عدنان، المجلد الأول، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1978، ص.503-506.

(2) ينظر:، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي ج:1-2، ص.77.

(3) ينظر: نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، أحمد بن عبد الصمد بن عبد الحق الخزرجى، تحقيق:الأستاذ محمد عز الدين المعيار الإدريسي،المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1414هـ/ 1994م،ج:1، ص.93. الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، د.خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص:47.

المطلب الرابع: جوانب تخصصه

سبق أن أشرت إلى أن أبا عبيدة الخزرجي ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة، مما جعل منه محدثا حافظا، يقول ابن عبد الملك المراكشي:"كان في شبيبته معروفا بالذكاء والنبل، مشهورا بالحفظ للحديث،ذاكرا للتواريخ والقصص، ممتع المجالسة متين الأدب"[1]، هذا وقد استغرق مدة طويلة في مدينة فاس في إسماع الحديث، والتكلم على معانيه بجامع القرويين[2].

إلى جانب براعة الخزرجي في علوم الحديث، كانت شهرته في الفقه ذائعة الصيت، فقد كان يجيب "على المسائل التي كانت ترد عليه[3]"، وقد كان له كتاب في الأقضية النبوية سماه **"آفاق الشموس وأعلاق النفوس"** هذا إلى جانب براعته وتبحره في الجدال والمناظرات مع أهل الملل والنحل، ويتضح ذلك جليا في كتاب (بين الإسلام والمسيحية).

وأشير إلى أن الخزرجي كان على اطلاع باللغة العبرانية، وهو ما ورد عنه من خلال قوله:

"وإنما نقلت من أناجيلهم حرفا حرفا على ما فيه من إضافة الفعل والقدرة والحول إلى غير الله تعالى. لأن من شأنهم وشأن اليهود، إذا قيدوا بشيء مكتوب عندهم أنكروه. فلم أورد من ذلك، إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية ووقفت عليه بنفسي وطالعت منها بعض تفاسيرهم، وشافهتهم بها"[4]، وإن اختلف الدارسون حول هذا الأمر بين قائل بصحته ومشكك فيه، حيث شكك محقق مقامع الصلبان " الأستاذ عبد المجيد الشرفي " في مسألة معرفة الخزرجي **بالعبرانية** بقوله:"إن حذقه – أي الخزرجي – للعبرانية، يبدو لنا فيه شك لا فقط لصغر سنه عند تأليف لرسالته –مقامع الصلبان – بل وأيضا لأن أي مرجع لم يشر إليها، ولو إشارة طفيفة، ولأن النصوص التي يستشهد بها، هي في جملتها من النصوص

(1) الذيل والتكملة، عبد الملك المراكشي، السفر الأول،ص:239-240.
(2) المرجع نفسه، ص.239-240.
(3) المرجع نفسه، ص.240.
(4) مقامع الصلبان، ص. 196.

المتداولة في ردود المسلمين على النصارى" [1]، ليرد عليه الدكتور المنجي الكعبي بقوله:" إذا كان هذا الذي قدرت له اثنتين وعشرين سنة، أو ثلاثا وعشرين حين ألف كتابه هو"صبي" لفظا ومعنى، وهو" صغير السن " في حسابك. فأنا نعجب لكون هذه المفارقة في ذهنك سوى تشكيكا في أن المؤلف قد اطلع كما يدعى على أناجيل المسيحيين بالعبرانية، وقرأ شيئا من تفاسيرهم لها"[2].

مجمل القول: إن الإمام الخزرجى كرس آخر حياته في تدريس علوم الحديث وغيرها من العلوم الشرعية في مدينة فاس، مقابل أجرة عامين، واستمر ذلك زهاء تسع حجج إلى أن لقي الله تعالى[3].



(1) المصدر نفسه، ص.15.

(2) جريدة " العمل " التونسية، عدد.16 / 8/ 1975،ص.7، نقلا عن نفس الصباح، ص.80-81.

(3) ينظر: الذيل والتكملة، المراكشي، السفر الأول، ص.240.

المطلب الخامس: وفاته و مصنفاته العلمية

1- وفاته:

توفي الإمام ابن أبي عبيدة الخزرجى بفاس في شهر ذي الحجة، سنة 582 [1].

2- مصنفاته:

توفي الإمام ابن أبى عبيدة الخزرجى، وترك كنزا ثمينا من الكتب التي لا يستغني عنها أي باحث في علم مقارنة الأديان وفي علوم أخرى أيضا، وقد حفظت لنا المصادر عددا من كتبه نذكر منها:

- في السيرة:

* أفاق الشموس وأعلاق النفوس في أحكام النبي ﷺ[2].

* قصد السبيل في معرفة آيات الرسول ﷺ[3].

- في مقارنة الأديان:

* مقامع الصلبان.

- في علوم القرآن:

* نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخة.

---

(1) المرجع نفسه،ج:1، ص.241.

(2) ينظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة ص.170.

(3) ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي، ص.119.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "مقامع الصلبان"

يصنف كتاب الخزرجى ضمن العديد من مؤلفات الجدل الديني في الأندلس التي سادت في عصره (ق 6هـ) كما انتشرت قبله ككتاب "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**" لابن حزم، و"**رسالة أبي الوليد الباجي في الرد على الراهب من فرنسا**"، وانتشرت بعده ككتاب "**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد** ﷺ" للإمام القرطبي، و"**إظهار الحق**" لرحمت الله الهندي...إلخ، وإن كان كتاب "**المقامع**" وصاحبه لم يحظيا بكبير عناية من قبل الدارسين والمحققين، ومن ذاك النزر القليل من المهتمين به Fernando De La Granja، الذي خصص فصلا لدراسة ما ورد فيه من خوارق نسبت إلى المسيحيين، من خلال كتابه Melagros espanoles en una obra polémica musulmana (El Kitab Makamie al Sulban del jazrayl)[1].

وقبل الخوض في الحديث عن محتويات الكتاب وتعدد العناوين التي سمي بها، أشير إلى أن الكتاب حمل عنوانا آخر غير هذا، حيث نشر باسم "**بين الإسلام والمسيحية**" وهو العنوان الذي وضعه المحقق الدكتور محمد شامة معللا هذا التغيير بكون الكتاب بعدما ألفه صاحبه تركه في يد تلاميذه قبل أن يصل إلى القش القوطي، وهذا ما طرح إشكالية تعدد العناوين والمسميات لهذا المؤلف، وهو الأمر الذي دفع بالمحقق إلى اختيار اسم آخر اعتمادا على موضع الكتاب حيث صرح بذلك في قوله: "لهذا رأيت أن أختار له عنوانا (بين الإسلام والمسيحية) اقتباسا من موضوعه، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته إلى أبي عبيدة، فجاء عنوان الكتاب هكذا: بين الإسلام والمسيحية: كتاب أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة 582هـ"[2].

---

(1) ينظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.5.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 117

المطلب الأول: تعدد عناوين الكتاب

ذكرت عدة أسماء مختلفة للكتاب نذكر منها:

- مقامع الصلبان.
- مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان.
- مقامع الصلبان وروايع الإيمان.
- مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان.
- مقامع هامات الصلبان ورواتع رياض الإيمان.
- مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان.
- مقامع هامات الصلبان وروايع روضات الإيمان.
- مطامع الصلبان وروضات الإيمان.
- مقاطع(...) الصلبان.
- مقاطع الصلبان ومرات رياض أهل الإيمان.
- مقامع الصلبان ومراتع رياض الإيمان[1].

(1) ينظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.11: 13.

المطلب الثاني: محتويات الكتاب

استهل المؤلفُ كتابه بمقدمة قصيرة، بين فيها سبب تأليفه للكتاب- مقامع الصلبان- والظروف السياسية والدينية التي أحاطت به، وهو أسير لدى النصارى، حين بعث إليه أحد القساوسة القوط برسالة تنصيرية يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية(1).

أما فيما يتعلق بمحتويات الكتاب الرئيسية يمكن تقسيمها إلى شقين، الأول بالرسالة التي بعث بها القس القوطي إلى أبي عبيدة الخزرجي يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية، وشق يتضمن رد الخزرجي على هذه الرسالة مفندا ادعاءاته الباطلة.

1- رسالة القسيس (2) إلى أبي عبيدة الخزرجي وقد تضمنت ما يلي:

- دعوة الخزرجي إلى الإيمان بالمسيح ابن الله.
- قرار القرآن بأن المسيح روح الله وكلمته وأنه أحيى الموتى، وأن هذه الأفعال دليل على ألوهية المسيح.
- الإيمان بعقيدة الصلب كما يراها المسيحيون بأنها رحمة ببني آدم وأنها دليل قاطع على ألوهية المسيح. ادعاء القسيس بأن صلاتهم هي أحسن صلاة تقرأ.
- القول بعدم أهمية الشريعة الإسلامية (الزواج: تعدد الزوجات، الطلاق...)، وأن القرآن ينسب إلى التوراة والإنجيل ما ليس فيهما (كالقتال)، كما أخطأ القرآن أيضا حين جعل من مريم ابنة عمران أخت هارون.

---

(1) ويرى الدكتور عبد المجيد الشرفي أن هذه المقدمة ليست من تأليف الخزرجي وإنما من وضع بعض تلاميذته، أنظر: مقامع الصلبان، ص.14. وجاء أيضا في كتاب الذيل والتكملة، ما يلي:"تركه في نسخ بأيدي جماعة من المسلمين المبتلين بالأسر هناك، لما يسر الله في تخلصه" ص. 240.

(2) يدعى "حنا العيسوي"، وفي عبارة أخرى "حنا مقار "، ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.50 -62، لكن جل الكتب التي تحدثت عن الجدل الديني في الأندلس ووقفت على فحوى هذه الرسالة بين الخزرجي والقس لم تقفا على تعريف لهذا الأخير كل ما في الأمر هو مجرد نسبته إلى مدينة طليطلة والاكتفاء بتسميته ب" قس طليطلة" أو «Pretre deTtolède» voir : Ibn Hazm et la polémique islamo- chrétenne dans l'histoire de l'islam ; Abdelilah Lajami ; leiden ; boston brill ; 2003 ; p. 115

- قول القرآن بتحريف التوراة والإنجيل لا يقوم على دليل
- إنكاره للأمور الغيبية كنعيم الجنة من أكل وشرب ونكاح[1]...

- رسالة أبى عبيدة الخزرجي إلى القسيس وقد تناول فيها مايلي:

- بعد ذكره لأهمية الإسلام والمسلمين انتقل إلى الرد عن شبهات وعقائد القسيس معتمدا في ذلك على أحد ملوك الهند في مذهب النصارى، ومستشهدا ببعض أقوال أفلاطون على بطلان عقائد النصارى.
- مناقشة العقيدة المسيحية حول ألوهية المسيح وبيان بطلانها معتمدا في ذلك على شواهد من الإنجيل تبين أن عيسى اعتبر نفسه نبيا، كما أن حال المسيح لا تدل على ألوهيته.
- الوقوف على مواطن التحريف والتناقض في نصوص التوراة والإنجيل وتناقض بعضها مع البعض وتكاذبها.
- ذكر شواهد من التوراة على بشارة النبي محمد ﷺ مع ذكر لبعض معجزاته مقارنة مع معجزات غيره من الأنبياء.
- الرد على أكاذيب النصارى وافتراءاتهم حول النبي محمد ﷺ وعلى القرآن.
- الرد على شبهات النصارى حول الإسلام من ذلك: تعدد الزوجات في الإسلام، الجهاد، الطلاق، النسخ.
- نفي الخزرجى دعوى النصارى انتشار الإسلام بالسيف.
- وختم الخزرجى كتابه ببيان بطلان وفساد عقائد النصارى، والدعوة لهم بالهداية إلى الطريق الصحيح[2].

---

(1) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.62-116.

(2) ينظر كتاب بين الإسلام والمسيحية الخزرجي.

المطلب الثالث: منهج الخزرجي في الكتاب

يمكن تلخيص المنهج الذي اتبعه الخزرجي في كتابه في ما يلي:

- اعتماد المنهج العقلي في الرد على مخالفيه.
- اعتماد طريقة المحدثين في التجريح، وهو في ذلك لا يتحاشى من استعمال بعض مفردات السب والشتم في حق خصمه مثل:(أخبرني أيها المغرور- أيها الأعجمي الألكن- أخبرني أيها المخدوع...) رغم أنه كان أسيرا، وهي قاعدة مألوفة عند العلماء القدامى سواء المسلمين منهم أو المسيحيين[1].
- التعرض إلى مواطن الخلاف الأساسية بين النصارى والمسلمين، من تثليث وصلب وفداء وتحريف للتوراة والإنجيل وغيرها من الشبهات التي ذكرها القس في رسالته.
- نقده للتوراة والإنجيل وبيان بطلانهما وفساد عقائدهما بأدلة وبراهين عقلية ونقلية[2].

(1) ينظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.14-15.

(2) لنا عودة للحديث عن منهج الخزرجي في نقده لعقائد النصارى بتفصيل، في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

المطلب الرابع: مخطوطات الكتاب

* نسخة محفوظة بمكتبة آيا صوفيا بتركيا، تحت عدد2367.
* نسخة محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا، تحت عدد 1863.
* نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت عدد 14472.
* نسخة محفوظة في متحف طوبقيو سراي بتركيا، عدد.506 R/ 03
* نسخة محفوظة بمكتبة أسعد أفندي، عدد4/ 6 الملحقة بالمكتبة السليمانية باسطنبول.
* نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت عدد 18545.
* نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت عدد 13659.
* نسخة محفوظة أيضا بالمكتبة الوطنية بتونس، تحت عدد 8983 [1].

---

(1) ينظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.24-17.

المطلب الخامس: مصادر الكتاب

تحتل المصادر العلمية مكانة هامة في مجال البحث العلمي، فهي منهل خصب لكل باحث، وتنوعها يعطي للبحث وزنا وقيمة علمية كبيرة، و الإمام الخزرجى واحد من الذين لاتخلو مؤلفاتهم من كثرة الاستشهاد وتنوعها، سواء الإسلامية منها كالقران والسنة، أو مصادر أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، مما أضفى على مناظراته مع اليهود والنصارى طابعا علميا، ومن جملة المصادر التي اعتمدها في كتابه نذكر:

أولا- القرآن الكريم:

وهو أول مابدأ به الإمام الخزرجى كلامه في الرد على القس القوطي يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد"[1] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2]. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى حسن الجدال منها قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ۝٤٦﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿...وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ۝١٢٥﴾[4].

ثانيا- السنة النبوية:

اعتمد ابن أبي عبيدة الخزرجى في رده على شبهات النصارى على كثير من أحاديث النبي ﷺ، من ذلك رده على النصارى الذين زعموا أن النبي ﷺ قال بأنه لا يموت[5]، فاستدل الخزرجى بحديث ﷺ: **"بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة"**[6].

---

(1) مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.39.
(2) سورة الإخلاص، الآية: 3.
(3) سورة العنكبوت، الآية:46.
(4) سورة النحل، الآية: 125.
(5) ينظر:مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.94.
(6) حديث صحيح، وفي رواية أخرى، أن رسول الله ﷺ قال:(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)، صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم:1195، دار ابن كثير دمشق، بيروت، 1423هـ/ 2002م، الطبعة الأولى، ص.288.

ثالثا- أقوال الصحابة:

استدل الخزرجي في جداله مع أهل الكتاب، بمجموعة من أقوال الصحابة رضي الله عنهم من ذلك رده على أولئك الذين زعموا أن النبي ﷺ لما مات ترك يومين حتى نتن ثم دفنوه[1]، وهو ما يتنافى مع أئمة المسلمين وإجماعهم قاطبة على أن النبي ﷺ لما التحق بالرفيق الأعلى جاء إليه علي بن أبي طالب وهو يغسله فقال:"بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا"[2].كما يشير صاحب تحقيق كتاب "مقامع الصلبان" إلى أن الإمام الخزرجي قد اعتمد في كتابه على كتاب الفصل لابن حزم،" دون أي إشارة منه إلى الكتاب يقول:"نجد أحيانا نفس عبارة ابن حزم، علاوة على وجود نفس الحجج والشواهد"[3].

رابعا- كتب اليهود والنصارى:

لم يكن ابن أبي عبيدة الخزرجي يقتصر في كتاباته وجداله لأهل الملل على المصادر الإسلامية فقط، بل تعدى ذلك إلى الاستدلال على انحراف عقائدهم[4] بأمهات كتبهم مما أضفى على عمله طابع الحياد العلمي المطلوب، ومن هذه المصادر نذكر على سبيل المثال:

- إنجيل "متى": (**وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ:(لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ)**[5].
- إنجيل "مرقس": (**وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية)**[6].
- إنجيل "لوقا": (**وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِير)**[7].

---

(1) ينظر: مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.93.
(2) سيرة النبي ﷺ، ابن هشام، تحقيق: مجدي فنحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1416هـ/ 1995م، رقم الحديث:2102، ج4، ص.370.
(3) مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.17.
(4) لنا عودة للتفصيل أكثر في هذه العقائد، ضمن الفصل الثاني والثالث من هذا الكتاب.
(5) إنجيل متى، 13/ 57.
(6) إنجيل مرقس، 10/ 17.
(7) إنجيل لوقا،7/ 11.

- إنجيل "يوحنا": (لأَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ شَهِدَ أَنْ:(لَيْسَ لِنَبِيٍّ كَرَامَةٌ فِي وَطَنِهِ)[1].

خامسا- كتب الفلسفة:

استفاد الإمام ابن أبي عبيدة الخزرجي في مجادلته لأهل الكتاب من الفلسفة اليونانية والهندية، ويتجلى ذلك في نقده للديانة النصرانية باعتبارها مخلة بعقل الإنسان ودينه، كما وصفها أحد ملوك الهند[2]، بالضعف والجهل وخساسة الهمة والقدر والإساءة إلى الخالق كما المخلوق، ورأى فيها عقيدة محايدة لكل ما انتهجه أهل الشرائع[3]، ليستدل من خلال ذلك على ما لحق بعقيدتهم من تحريف.



(1) إنجيل يوحنا،4/ 44.ينظر: مقتمع الصلبان، ص.48 – 49.
(2) لم يذكر اسم الملك في كتاب مقامع الصلبان، ص.40.
(3) مقامع الصلبان، الخزرجي، ص.41.

المبحث الثالث: عصر أبي عبيدة الخزرجي

عاش الإمام أبو عبيدة الخزرجي في فترة شهد فيها الغرب الإسلامي تحولا سياسيا خطيرا مع سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين- وهو بذلك يعتبر من مخضرمي الدولتين- وهي فترة كان لها وقع خطير على الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية التي عاشها الخزرجي، ولهذا جرت عادة الباحثين في تناول الأعلام إعطاء نبذة موجزة عن مناحي الحياة التي عاش فيها العَلم.

المطلب الأول: الحياة السياسية

أشرت مسبقا إلى أن الفترة التي عاش فيها الخزرجي والممتدة من (519هـ إلى 582م)، قد تزامنت مع انهيار دولة المرابطين وظهور الخلل فيها مباشرة بعد وفاة يوسف بن تاشفين، إذ بدأ الاضطراب يتسلل إلى الدولة المرابطية للأسباب التالية:

أ - **ضعف القيادة العليا للبلاد والصراع السياسي الداخلي**: فبعد أن استنجد أهل الأندلس بالقائد المرابطي لبتر مصدر الداء وتطبيب الجرح الغائر في جسد الأندلس التي عاث فيها ملوك الطوائف فسادا وإيلاما ولعل ما جاء في رسالة الشاعر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن عبيد النفزي التي بعث بها إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين دليل من الأدلة الكثيرة التي تكشف الغطاء عن وضع الأندلس آنذاك والتي قال فيها[1]:

أميـــر المسلمين ألا تعود ... لأندلس بها مرض شديدُ
وأنت طبيبها والله يشفي ... فمالك لا تطب ولا تعود
وشوذر ثم مرتش لو تراها ... ونار الكفر يضرمها اليهودُ

إلا أن الوضع لم يقف عند هذا الحد فبعد الانتصار العظيم الذي حققه يوسف بن تاشفين في المنطقة ومع مرور الوقت وتوالي خلفاء ابن تاشفين على الأندلس رجعت إلى سابق عهدها من التدهور والتراجع، وذلك بإسناد الحكم إلى غير أهله في فترة كانت فيها

(1) قصائد غير منشورة، الحسين يعقوبي، في الاستصراخ والاصراخ، مجلة دراسات أندلسية، العدد:5، (1411هـ- 1990م)، ص.80.

الفتن على أشدها في الأندلس، إذ أسندت الخلافة إلى علي بن يوسف بن تاشفين، مما دفع بكثير من الأمراء إلى الاستبداد[1] وقد عبر المراكشي عن ذلك بقوله:"واختلت حال أمير المسلمين بعد الخمس مائة اختلالا شديدا فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، وانتهوا في ذلك إلى التصريح فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه"[2]، وأكثر ما ميز هذه الفترة ظهور نزعة التعصب خاصة مع ولاية علي بن تاشفين الخلافة حيث كان هذا الأخير "شديد الورع وخضع تماما لأشواقه الدينية واتخذ خلال حكمه الطويل - 438/ 399 هـ - من الدين سياسة للدولة "[3].

ب - **انشغال العلماء**: على الرغم من ازدياد مكانة العلماء في هذه الفترة إلا أن أغلبهم ساهم في تدهور الأوضاع بالمنطقة، فقد شجعوا بمساندتهم لملوك الطوائف على التفرقة والشتات وكانت خدمتهم لهذا الملك أو ذاك رغبة منهم في زيادة النفوذ والمال كما وضعوا فتاويهم الفقهية تلبية لرغبات هؤلاء الملوك وخدمة لهم وتأييدا لظلمهم[4]، وعن الفتنة التي أصابت الأندلس وعن هذا الصنف من الفقهاء قال ابن حزم " وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى... وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد.... فلا تغالطوا أنفسكم لا يغرنكم الفساق المتنسبون إلى الفقه، واللابسون جلود الضأن على

(1) ينظر: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، د. حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980، ص.43.

(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي،،(من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع مايتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب)، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة،القاهرة، الكتاب الثالث، 1283هـ/ 1963م، ص.241.

(3) الأندلس في التاريخ، د. شاكر مصطفى، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، 1990، ص. 97 - 98.

(4) ينظر: دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري، د. راجح شلبي، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2008م، ص. 265.

قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم"[1]، وإن كان بعض الفقهاء والعلماء رفضوا إعانة ملوك الطوائف على ظلمهم للناس، فرفضوا تولي المناصب احتجاجا على الفوضى السياسية والأخلاقية التي كان يعيشها الحكام[2]، ومن هؤلاء على سبيل المثال الفقيه " عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوْزَني "[3] الذي حذر من خطر سياسة ملوك الطوائف فكان مصيره القتل على يد المعتضد وتم دفنه بالقصر بثيابه دون غسله ولا الصلاة عليه[4].

كما انصرف العلماء إلى الفروع وأهملوا الأصول و انشغلوا عن قضايا الأمة وهمومها بسفاسف الأمور، وبدل المشاركة في حمايتها فضلوا العزلة والانكباب على الشروح في قضايا الفقه المذهبي الذي فرق بين المسلمين تاركين المكان لمن لا علم لهم يتدخلون في شؤونها مما زاد الوضع تأزما[5].

وفي خضم هذه الأحداث بدأ الموحدون في التسرب إلى المدن الأندلسية بما في ذلك قرطبة التي تخلى عنها واليها **"ابن غانية"** أمام جبروت الموحدين، وجبروت **"ابن حمدين"**[6]- ت508هـ- والي قرطبة الذي استعان بالقيصر ألفونسوا أعظم أمراء إسبانيا آنذاك من أجل مساعدته على دخول قرطبة مقابل إغراءات مادية، في مقابل ذلك عجز ابن غانية عن الدفع

---

(1) رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، السنة 1987، ج3، ص.173.

(2) دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري، راجح شلبي، ص.265.

(3) ويكنى بأبي حفص، كان متفننا في العلوم، إذ أخذ من كل واحد منها الحظ الأوفر، عرف بضبطه وفهمه الثاقب، رحل إلى المشرق سنة 444هـ، انظر كتاب الصلة، ابن بشكواك، ج 2، ص.585.

(4) ينظر: الصلة ابن باشكوال، ج 2، ص.585.

(5) ينظر: الأندلس التاريخ المصور، د. طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري، الكويت، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص.333.

(6) محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز أبو عبد الله العلامة قاضي الجماعة الأندلسي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف ولي القضاء ليوسف بن تاشفين الملك، فسار أحسن سيرة وحمل عن أبيه. روى عنه القاضي عياض وعظمه، ولي قضاء قرطبة، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البر وأبي العباس ابن دلهاث وتفقه بأبيه وبمحمد بن عتاب وحاتم بن محمد وكان ذكيا بارعا في العلم، ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ج6، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، ط1، ص.416.

للنصارى فاجتاحوا قرطبة شرقها وغربها، يقول المؤرخ الألماني "**يوسف أشباخ**" واصفا هذا الاجتياح:" ودخل النصارى قرطبة بالرغم من ممانعة "ابن غانية" في آخر شعبان سنة 541هـ(أوائل سنة 1147م)، وأقاموا بمسجدها الجامع بين سخط المسلمين وارتياعهم قداسا حافلا برياسة أسقف طليطلة، وربطوا خيولهم في أروقته، وتناولوا بأيديهم النجسة مصحف عثمان، أقدس ذخائر الأندلس، وأثاروا غضب الشعب بإغراقهم في سوء معاملته، ولم يراعوا شيئا من الشروط التي سلمت المدينة بمقتضاها"[1].

وفي ظل هذه الأحداث التاريخية اقتيد الخزرجى أسيرا إلى طليطلة، وهناك تعرض للتنصير من طرف القس القوطي[2]، يتضح ذلك في كتابه "بين الإسلام والمسيحية":"لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة باندثار ملكها وتفرق أهلها عنها، لتتابع ضنكها ألحق منهم بطليطلة صبي من آل عبد الحق الخزرجى، يوصف بالذكاء وكان بها قسيس من القوط يكثر الاعتراض في الدين، على نفر كانوا تابعين له من المسلمين فجعلوا يرفعون أسئلتهم إلى الصبي فيجيبهم الصبي عليها، فيرجعون بذلك إلى القسيس فأنكر إجابتهم لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء، فاستفهمهم فأعلموه بذلك"[3]، وبعد علمه بأمر الفتى، بعث إليه برسالة يدعوه فيها إلى ترك الإسلام دين التوحيد، والإقبال على دين النصارى واعتناق التثليث[4].

(1) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ط2، 1417هـ/ 1996م، ص. 230.

(2) ينظر: الجدل الديني، د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص. 51.

(3) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور محمد شامة،مكتبة وهبة، القاهرة، 1428هـ/ 2007م، ص.61.

(4) الجدل الديني في الأندلس، د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص.51.

المطلب الثاني: الحياة الثقافية والفكرية

قبل الخوض في الحديث عن الحياة الثقافية للفترة التي عاش فيها الخزرجى بين القرن الخامس والسادس الهجري لابد من لفت الانتباه إلى أن هاته الفترة التي عرفت بالفوضى السياسية ونهاية الخلافة الأموية وتولي ملوك الطوائف زمام الأمور حيث كان عصرهم أكثر اضطرابا بالمنطقة، جعلت أغلب الدراسات تنصب على تلك الأحداث السياسية، مما يجعل مسألة ربط هاته الاضطرابات بإيجابية أو سلبية الواقع الاجتماعي والثقافي للأندلس صعبة،كما يجعل مسألة تحديد المصادر المهتمة بهذا الجانب من الحياة الأندلسية صعبا، لهذا حاولت قدر الإمكان تجميع شتات صور عنه من مصادر ومراجع مختلفة تناولت عصر المرابطين والموحدين بالدراسة والتحليل على الصعيد الاجتماعي والثقافي والديني، حتى نعطي صورة عن الظروف التي نشأ فيها الخزرجى والظروف التي جادل من خلالها أهل الكتاب.

فبالرجوع إلى تاريخ المرابطين تبين لنا أنهم لم يظهروا "كبير عناية بأمر العلوم والفنون والشعر، وتقدم المعارف"[1] واعتبر عصرهم عصر انكماش وتأخر للثقافة الأندلسية وتراجع لمكانة الشعر والشعراء"، فأصبح التصريح بكساد الشعر أشد وأوضح- ذلك أن الشاعر حتى في أسمى ما غدا يستطيع بلوغه من مكانة لم يعد في طوقه منافسة رجل السيف-وهو من الملثمين- والفقيه والكاتب-وهو في الغالب من الأندلس- "[2].

ولم يشجعوا على كتابة التاريخ، حيث كانت حكومتهم تُخضع المؤلفات التاريخية لرقابة صارمة، وكانت تأمر بإحراق جميع الكتب التي لا تروق لهم، وأنكروا العلوم الفلسفية والكلامية وحرموا الإطلاع عليها، وطردوا كل من يتعاطى لهذا النوع من العلوم، وانصب اهتمامهم على العلوم الدينية والفقهية، وأحاطوا الفقهاء وعلماء الدين برعاية خاصة[3].

(1) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ج 2، ص. 239.

(2) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص.72.

(3) ينظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ج2، ص.261.

وكان من جملة ما اهتموا به، الجانب العمراني، "فقد أنشأ المرابطون المساجد والثكنات والقياسر والمساكن والشوارع والأسواق - وعملوا- على ترقية جميع المنشآت الضرورية "[1].

والأمر نفسه بالنسبة للدولة الموحدية، فبدورها قامت على أساس ديني، إلا أنها كانت أقل خشونة واستبدادا وأقل عداء للتربية والعلوم والثقافة والفكر، فقد أتاحوا دراسة بعض الكتب الفلسفية التي حظرت في عهد من سبقوهم، وأطلقوا الحرية لجملة من العلوم والفنون وعنوا بها وحموها، وازدهرت في عهدهم فنون الصناعة والزراعة، وعلى عكس سابقتها ألغت حكومة الموحدين الرقابة على المؤرخين، وسمحت لهم بكتابة تاريخ الدولة، وعادت بعض صور الرخاء لتلقي بأسدالها على البلاد[2].

وعلى العموم عرفت الحياة الفكرية والثقافية في عصر الموحدين وبالخصوص الفترة التي عاش فيها الخزرجى انفتاحا وإقبالا على العلوم، حيث كانت الدولة " تتوق لتوجيه التعليم توجيها فلسفيا حرصا منه على الخروج بالتعليم من المسالك التقليدية إلى طرق التحليل العقلي بالرغم من تشددهم المذهبي، وهذا الاتجاه الفلسفي سيجعلهم يتحررون من الارتباط بالمذاهب التقليدية في الفقه، فكان من الطبيعي أن يتجه تفكيرهم إلى الجمع بين النصوص المقدسة من جهة وعلوم الحكمة - الفلسفة - من جهة أخرى، إما بمحاولة التوفيق بينها أو بتأويل أحدهما في ضوء الآخر"[3].

وأشير إلى أن هناك رأي آخر في مقابل ما عرضناه من موقف المرابطين والموحدين من الثقافة والعلوم والفنون والقائل بعد اهتمامهم الكبير بهذا الجانب وانكبابهم على الفقه والفقهاء، رأي يصرح بعكس ذلك، حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى الاهتمام البالغ للدولتين بكل تلك الأمور، وإلى عنايتهما بالثقافة الأندلسية وعلومها، حيث بلغت " العلوم والفنون عامة في هذا العصر ازدهارا كبيرا وكثر عدد العلماء... وظهرت عدة مؤلفات في

(1) المرجع نفسه، ص. 239.

(2) المرجع السابق، ص.252.

(3) ابن رشد-الفيلسوف العالم-، د. عبد الرحمن التليلي، المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1998، تونس، ص.18.

شتى المجالات مما سجلته كتب التراجم وبرامج العلماء كـ " **الصلة** " "لابن باشكوال "، و "**فهرست ابن خير**"[1] على الرغم من المشاكل السياسية التي كانت تحيط بهما إبان القرنين الخامس والسادس الهجري، كما برز عدد كبير من الشعراء والأدباء " كالشاعر – ابن قزمان – ووصل الأندلسيون إلى أعلى درجات الأمن الثقافي، خاصة في المناطق الجنوبية من الأندلس التي انحسروا فيها بعد هجمات الإسبان"[2].

وتقر مصادر أخرى بفضل المرابطين في الحفاظ على التراث العلمي والثقافي والإسهام في ازدهاره وبأن نجم دولتهم لم يأفل " دون أن تترك بصماتها على التراث العلمي والأدبي في الأندلس، فقد انفتح عهد المرابطين على الأدب والشعر والعلم واستقطب أصحاب الفنون والعلوم من الأندلس ورعاهم وأغدق عليهم"[3]، وتؤكد على ازدهار الآداب في العصرين معا الموحدي والمرابطي، بسرد كثير من أسماء الشعراء والأدباء والمؤرخين " ابن سعيد وعبد الرحمن السهلي ومحمد بن جبير وأبو البقاء الرندي، وابن الأبار، وقام عقيل بن عطية وابو العباس أحمد الشريشي بشرح مقامات الحريري، وفي مجال التاريخ برز ابن الأبار وفي الجغرافية ابن جبير وفي الفلك البطروجي وفي الطب بنوزهر، وفي علم النبات نبغ ابن البيطار والأقلش، وابن قرفل في علم القانون والشريعة الإسلامية السيد البطليوني وأبو علي الشلوبي في النحو والصرف"[4].

---

(1) نفس الصباح، الخزرجي، ص.59.

(2) آفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، ط1، 1988، دار المعرفة، دمشق، ص. 117.

(3) حكايتنا مع الأندلس، عدنان فائق عنبتاي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط 1، 1989، ص.103.

(4) آفاق غرناطة،عبد الحكيم الذنون، ص.117

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية

كانت اسبانيا المسلمة في عهد الدولة المرابطية وكذلك الموحدية أغنى ولاية في الدولة المغربية[1].

وعلى الرغم من تعرضها لاستبداد العسكر، وانهيار صروح الثراء نتيجة ذلك، إلا أن المسلمين بالأندلس لم يتراجعوا عن منافسة المسلمين في المشرق في كل ألوان الحياة العامة، هاته الأخيرة التي تشكلت من أجناس وفئات اجتماعية وعقدية مختلفة مسلمين ومسيحيين ويهود.

- **المسلمون**: تشكلوا بدورهم من البربر[2] والعرب والمولدين[3].

- **البربر**: تدفق الكثير منهم إلى الأندلس إبان الفتح، وعلى الرغم من اضطلاعهم في هذا الفتح بالقسط الأعظم والأوفر إلا أنهم لم ينالوا نصيبهم في حكم هذه البلاد خاصة في ظل الدولة الأموية[4] إلا في عصور لاحقة وبشكل سريع، ونزل معظمهم" في الهضاب الوسطى وعلى القسم الجنوبي من الشواطئ الغربية لأن مناخ هذه البلاد وطبيعة أرضها التي تكاد تكون كلها مراعي يشبهان بلادهم في المغرب الأقصى"[5].

وتشكلت منهم الموجة الأولى التي قادها طارق بن زياد إذ اجتمع له منهم قرابة اثني عشر ألفا، وتمكنوا من الاندماج في المجتمع الجديد وتمكن من ان يشكل أهمية كبيرة بالأندلس حيث ساهم بشكل كبير في بناء جزء مهم من الحضارة الأندلسية.

---

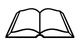
(1) ينظر: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ج2، ص.233.

(2) استعملت لفظ البربر هنا، ليس بالمفهوم الغربي Berbere المتداول لديهم، والذي يفيد معنى الهمجي أو الوحشي، بل لفظة بربر هذا لها دلالتها التاريخية باعتبارها لفظة تدل على سكان المغرب الأوائل، الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح الإسلامي للبلاد.

(3) للتفصيل أكثر، ينظر: الصفحة 40 من هذا الكتاب.

(4) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/ 1990م-، ص.25.

(5) الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها على الأدب العربي والأدب الأندلسي، محمد سعيد الدغلي، ص.15.



ومع قدوم المرابطين إلى الأندلس" تعزز عنصر البربر الموجود بها، الذي كان منتشرا في المدن والأقاليم، ويقومون بأعمال التجارة والزراعة و الصناعة"[1]

فازدادوا سلطة ونفوذا في عهد المرابطين، خاصة إذا علمنا أن الطبقة الحاكمة تشكلت منهم، وأكثر ما ميزهم خشونة الطباع لكونهم كانوا في أغلبهم من الطبقة العسكرية "رجالا لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هم أحدهم فرس يروضه ويستفرهه، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته"[2]. وإن كان الأندلسيون قد أبدوا تقديرا للمرابطين في بداية حكمهم لما حققوه من انتصارات على ألفونسو السادس ولعزلهم لملوك الطوائف والتصدي لظلمهم، فإنهم بعد ذلك أظهروا بعضا من الحساسية تجاه العنصر البربري، ذلك لأن نظرتهم الأولى لهم عندما قدموا أول مرة لم تتغير فقد"كانوا ينظرون إليهم نظرتهم إلى البدو الغلاظ الذين لا عهد لهم بحضارة أو مدينة"[3].

وازدادت كراهيتهم لهم وكبر حنقهم عليهم " وصار بغضهم مركبا في غرائرهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم، فلن تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا وبالعكس، إلا أن البربر أحوج إلى أهل الأندلس، لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر "[4] خاصة عندما انغمس المرابطون في حياة الدعة التي أعجبوا بها بالأندلس وتهاونوا في حماية الحصون.

ليستعيدوا مع مجيء الموحدين مكانتهم ويستمر سلطانهم على يد "الدولة الوريثة: الدولة الموحدية أكثر من قرن آخر"[5]، خاصة بربر المصامدة الذين تمكنوا من الذوبان في النسيج الأندلسي وحافظوا على مكانتهم بها.

(1) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1988،1، ص.261.
(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، الكتاب الثالث، ص. 226.
(3) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصمت عبد اللطيف دندش، ص.262.
(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس،الناشر: دار صادر، بيروت، ج1، 1408هـ/ 1988م، ص.244.
(5) دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث، محمد عبد الله عنان، ص.26.

- **العرب**: بعد دخول طارق بجيشه البربري إلى الأندلس الذي وصل عدده إلى اثني عشر ألف بربري، وسيطرته على عدة مناطق بها وذيوع صيته في المغرب والمشرق، ولاستكمال مجده، قام موسى بن نصير بأعداد جيش من العرب، ليعبر بهم إلى ضفة المجد وقد بلغ عدده ثمانية عشر ألف[1].

ولعله هو ذاك العبور الأول للعرب بهذا العدد وكانت" هذه أول طالعة – طالعة موسى-... معظمهم من القيسية واليمنية وموالي بني أمية – وكانوا – قوما يحسنون العشرة بعيدين... عن نزعات السيادة والتعالي التي تمسك بها من سبقهم من الرومان والقوط. ثم إن مطامعهم في أموال أهل البلاد المفتوحة كانت قليلة.. – وإدارتهم – لم تكلف أهل البلد شيئا ثقيلا "[2]وقد استقر معظمهم "في منطقة ضيقة على الشواطئ الجنوبية ثم في سهل قرطبة، لأن هذه الأماكن كانت كلها تشبه بلادهم في المشرق"[3]، وعلى الرغم مما عرف عنهم في بداية عهدهم من تعصب للعرق العربي فقد تمكن العرب بالأندلس مع مرور الوقت من التمازج مع باقي العناصر المكونة لهذه البيئة الجديدة عليهم وبعد انقسامات كثيرة طالت بينهم في المشرق استطاعوا تجاوزها في مجتمعهم الجديد وتمكنوا أيضا من " نسيان أصلهم الشرقي الذي يعتمد على أساس القبيلة، وتخلوا شيئا فشيئا عن أنسابهم المرتبطة في أذهانهم بحياة البداوة "[4].

وأخذت عصبيتهم للجنس العربي تتلاشى شيئا فشيئا وتبدد فكر القبيلة الواحدة لديهم وانتشروا في أقاليم الأندلس وخلقوا نسيجا اجتماعيا مغايرا لذلك الذي كانوا عليه في المشرق حيث أخذ عدد كبير منهم زوجات غير عربيات منهن إسبانيات ومنهن بربريات وامتزجت دماؤهم بدماء السكان الأصليين لدرجة جعلت معظم العرب ينسون انتماءهم

---

(1) قصة العرب في الأندلس، علي الجارم بك، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (دون طبعة)، ص.25.

(2) فجر الأندلس، حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405/ 1985م ص.355 – 367.

(3) الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها على الأدب العربي والأدب الأندلسي، محمد سعيد الدغلي، منشورات دار أسامة، ط1، السنة1984/ 1303هـ، ص.15.

(4) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، عصمت عبد اللطيف دندش، ص.247.

وأصولهم، ولم تعد فكرة العودة لتلك الأصول تراودهم وقد كان للدين الإسلامي الفضل الكبير في هذا الأمر[1].

- المولدون: سبقت الإشارة إلى أن العرب تزوجوا بغير العربيات في الأندلس، فكان من نتائج هذه العلاقة أن أفرزت جيلا آخر ساهم في تكوين النسيج الاجتماعي للأندلس وهو ما عرف بجيل المولدين الذي يلتقي نسبه في العرق العربي أو العرق البربري مع العرق الإسباني، وعن هذا الجيل الجديد الناتج عن ذاك الاحتكاك العرقي يقول حسين مؤنس:"... وقد ذكرنا أن العرب كانوا يدخلون الأندلس رجالا فقط، ثم يتخذون النساء من أهل البلاد، وعلى هذا فالأجيال الثانية من هؤلاء العرب جميعا لا يمكن أن يكونوا عربا من ناحية الدم، بل ربما جاز اعتبارهم مولدين... إنما كانوا عربا بالإحساس الاتجاه واللغة إلى حد كبير"[2].

وككل مكونات المجتمع كان للمولدين نصيبهم في بناء قسط من حضارة الأندلس.

- **اليهود**: وكغيرهم من الفئات المكونة للمجتمع الأندلسي شكل اليهود فئة مهمة في هذا النسيج الاجتماعي، حيث ساهموا بدورهم في حياكته على كل المستويات خاصة أثناء الحكم الإسلامي، حيث تمتع اليهود بحرية أكبر وبمشاركة أوسع في الحياة العامة والخاصة للبلاد وفك حصار النصارى عنهم الذي عانوا منه لفترة ليست بالهينة، اضطروا على إثره إلى ترك ديانتهم ليعودوا إليها مع الفتح الإسلامي للأندلس، حيث كانوا موزعين على هوامش البلاد، ومع الفتح ضمهم المسلمون وغيروا مناطق استقرارهم، يذكر ابن عذارى المراكشي كيف أن طارقا حين دخل طليطلة" وجدها خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر عُلُوجُهَا[3].. وتبعهم طارق بعد أن ضم اليهود "[4].

وجاء عن صاحب "الإحاطة في أخبار غرناطة" في هذا الشأن قوله: "ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى إلبيرة فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألِفوا بها يهودا ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنةً متبعةً متى وجدوا بمدينة يهودا ضموهم

(1) نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، ص.249.
(2) فجر الأندلس، حسين مؤنس، ص.376.
(3) العلج يقصد بهم الأعاجم.
(4) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى، ص.208.

إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها، ثم مضى الجيش إلى تُدمير"[1] ولعل الهدف من ضم اليهود إلى القصبات التي يتم فتحها كان بغرض الإفادة منهم في المجال العسكري والحراسة.

وتذكر بعض المصادر أنه كانت لهم أحياء خاصة بهم في كثير من المدن الأندلسية كمدينة قرطبة ومما يؤكد وجودهم بها ما رواه **ابن عذارى** عن حادثة وقعت في قرطبة سنة (529هـ=1134م)، يقول فيها:"وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة، في رجب على اليهود (...) بسبب قتل وُجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم"[2]

ومن الأدلة الكثيرة التي وردت بهذا الشأن ما ورد عن عبد الواحد المراكشي في كتابه **المعجب** " كان بنو هود هؤلاء يملكون من مدن هذه الجهة الشرقية: طرطوشه، وأعمالها، وسرقسطة وأعمالها، وأفراغة، ولاردة وقلعة أيوب.. "[3].

وهناك من المؤرخين من قال إنهم كانوا في أحياء أخرى يسكنون بجوار المسلمين، كما ذهب إلى ذلك **جوايتاين**: "... فإنَّ بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين، فلم يكن هناك **جيتو**[4]، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، ط2، 1393هـ/ 1973م، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة،ص.101.

(2) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس، ابن عذارى، ص. 266.

(3) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ابن فرحون، ص.124/ 125.

(4) الجيتو "هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوربا. وللكلمة معنيان: عام وخاص. يعني الجيتو بالمعنى العام أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام. ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية. أما الجيتو بالمعنى الخاص الذي أصبح شائعاً، فيعني المكان الذي يُفرَض على اليهود أن يعيشوا فيه، وقد استُخدمت الكلمة بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية (عام 1516). وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيُقال إنها حي اليهود في البندقية نسبة إلى "فلجيتو villgetto" أو "مصنع المدافع" الذي أقيم بجواره. ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية "جهكتر أورت Geheckter Ort" التي تعني "المكان المحاط بالأسوار"، أو هي من الكلمة العبرية "جت" أو "جيط" بمعنى "الانفصال" أو "الطلاق" الواردة في التلمود" أنظر: الجماعات الوظيفية اليهودية (نموذج تفسيري جديد)، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، 2002م، الطبعة الثانية، ص.111 - 112.

للاختلاط اليومي"[1].

ومع قدوم المرابطين ظل اليهود ينعمون بالحرية وبروح التسامح على الرغم من علم الفاتحين الجدد بالتجارب المريرة التي عاناها المسلمون من اليهود في عصر الطوائف عندما وصلوا إلى مناصب عليا في بعض دولها، وبالرغم من مشاركة اليهود، الذين سبق أن نعموا بعدل المسلمين، في معركة الزلاقة إلى جانب النصارى[2].

وإن كان اليهود ألفوا العيش في ظل الحكم المرابطي ونالوا فيه الحظوة وعاشوا تحت راية التسامح الذي كانت تمليه التعاليم الإسلامية على السياسة المرابطية، فإنهم مع مجيء الموحدين تغير الوضع عندهم ووقفوا في وجههم وحاولوا التصدي لهم بالتعاون مع النصارى ومنهم من وقف إلى جانب المرابطين للحيلولة دون دخول الموحدين إلى الأندلس، وتضاربت المصادر في طريقة التعامل مع اليهود من قبل الموحدين، فبعضها ذكر أن الموحدين أجبروهم على الإسلام وبعض منها ذهب إلى أن الموحدين لم يفرضوا الإسلام على اليهود بل فرضوا عليهم لباسا معينا يميزهم عن المسلمين ويُعرفون به إذ كانوا يضعون غفائر صفراء، و لا سبيل ليهودي أن يتعمم، وكان بعض الحكام يصدرون أوامر خاصة بلباس اليهود، عندما يلاحظون تراخياً منهم في التزام زيهم[3].

وورد عن صاحب "**الإحاطة في أخبار غرناطة**" ما يفيد أن الحكام في عهد الموحدين أصروا على تمييز اليهود عن المسلمين بالزي وغيره من الأعمال عبر كل تاريخهم بالأندلس، ومن هؤلاء السلطان نصر عندما آل إليه الأمر سنة 708 للهجرة، حيث: "اشتدّ في إقامة الحدود، وإراقة المسكرات، وأخذ يهودُ الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمَر بها الشارع في الطرق والخطاب"[4].

---

(1) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1980، ص.151.

(2) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، الكتاب الثالث، ص.135.

(3) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني ج1، ص223.

(4) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ج1، ص388.

وبين الحكم المرابطي والحكم الموحدي وقبلهما الأموي والنصارى ظل اليهود يتأرجحون بين التأييد والرفض للمتوالين على حكم الأندلس تحركهم في ذلك كما هو مأثور عبر التاريخ مصالحهم الخاصة وبرز منهم مفكرون وعلماء وأدباء أمثال موسى ابن ميمون وابن قزمان وغيرهما.

- **الفقهاء والعلماء**: بالإضافة إلى مكونات المجتمع السابقة الذكر كانت بعض فئاته الخاصة تشكل أهمية بالغة في تسيير الأوضاع بشكل ضمني أو مباشر منها فئة أو طبقة الفقهاء، هاته الأخيرة التي برز دورها بشكل كبير في عهد المرابطين ولم تأفل شمسهم في العصر الموحدي وهذا الدور البارز كان نتيجة طبيعة الدولتين الدينية.

وقد خصصت لهم صفحات كثيرة للتأريخ لهم ولمكانتهم خلال الفترة من الحياة السياسية والاجتماعية للأندلس، ويشير إحسان عباس في كتابه "تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين إلى ما حظيت به هاته الطبقة من اهتمام كبير في ظل الحكم المرابطي، حيث قربهم المرابطون إليهم "ليمنحوا الدولة الصبغة التي يؤثرونها، فارتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل"[1].

ولم يكن الملوك المتوافدين على حكم المرابطين يقطعون أمرا إلا بعد الرجوع فيه للفقهاء وظلوا كذلك حتى اعتلوا مناصب لا يستهان بها في سدة الحكم، يقول المراكشي في المعجب عن حكم علي بن يوسف: " وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته، كان في ما يعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس"[2]، حيث نالوا الثروات والحظوة، مما أثار حفيظة باقي الفئات الاجتماعية الأخرى التي أخذت تستفزهم، وتنتظر ضعف المرابطين لتنال منهم من جهة، ومن جهة أخرى ليعلن الفقهاء أنفسهم استقلالهم عن الفئة الحاكمة، فتسقط بعدها الدولة فيما سقطت فيه مع الدولة الأموية[3].

(1) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، محمد زكرياء عناني، ص.32

(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص.235.

(3) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكرياء عناني، ص.32.

وحتى مع قدوم الموحدين لم تفلح ثورتهم " في إضعاف هذه السيطرة على الرغم من أنها في بداية أمرها ثورة على الفقهاء المالكية، وما يمثلون فما ان استقرت دولة الموحدين حتى بدأ فقهاء المالكية بالتعاون مع عبد المؤمن، وتنظيم طلبة الحضر خير شاهد على ذلك"[1]

ومن أشهر الفقهاء الذين اشتهروا في هاته الفترة وكان لهم تأثير على علماء الأندلس، الفقيه "أبو وليد سليمان بن خلف بن وارث التجيبي الباجي،(402هـ/ 473هـ)، وجل مؤلفاته في الفقه والقرآن وفي أصول الأحكام، ولم تشتهر كتبه بقدر اشتهار مساجلاته ومجادلاته مع ابن حزم[2]، وقبل الانتقال إلى مظهر آخر من مظاهر الحياة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين أشير إلى أن بعض المؤرخين أتوا على ذكر النساء ودورهن في سقوط المرابطين بعد أن أوكلت لهن مهمات في القصر وسيطرتهن على زمام الأمور بل تعدى الأمر إلى الحديث على فساد تسييرهن واتهامهن في أخلاقهن وبأنهن كن وراء كل شر وفساد كما ذهب إلى ذلك المراكشي في معجبه ليأتي رد صاحب كتاب نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني على هذا الحديث بإدحاضه وتكذيبه مستدلا على ذلك بعدم إدراج الحديث عن المرابطيات في أي مصدر تاريخي إلا في حديث المراكشي ويشير إلى أن هذا الأخير كان مواليا للموحدين فكان من الطبيعي أن ينال من المرابطين ونسائهم، وإلا لماذا لم يدرج الشعراء والكتاب بل والمجتمع الأندلسي اللاذع اللسان حديثا مثل هذا عن المرابطيات ولم يدرج ولو اسم واحد لامرأة مرابطية عرفت بهذا الأمر بل جل ما ذكر من نساء المرابطين أنهن كن عفيفات صالحات وقد أعطى... من خلال كتابه نموذجا بزينب النفزاوية[3].

---

(1) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،عصر الطوائف الثاني، عصمت عبد اللطيف دندش، ص.27.

(2) ينظر: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، عصمت عبد اللطيف دندش، ص.392.

(3) المرجع نفسه، ص.28 – 29.

المطلب الرابع: الحياة الاقتصادية

شهد الغرب الإسلامي في فترة المرابطين والموحدين ازدهارا اقتصاديا حيث " عم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد"[1].

وقد وصف هذا الرخاء المعيشي ابن ابي زرع في كتابه " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس" بقوله:" وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية متصل وعافية وأمن، تناهي القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال (..) وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم"[2]، ولعل هذا الازدهار الذي عرفته البلاد في عهد الدولتين معا راجع إلى الإدارة المالية المنظمة التي نهجتها الدولتين والمتمثلة في تقسيم هذا الجانب إلى دواوين كديوان الغنائم ونفقات الجند وديوان الضرائب، وديوان الجباية وديوان مراقبة الدخل..[3].

ومن مظاهر هذا الاهتمام، اعتناؤهم بالمجال الفلاحي والزراعي وسعيهم إلى تطوير أساليبه، إذ حظي بكثير من الاهتمام من قبل المرابطين والموحدين على السواء، حيث مارس سكان الأندلس، في عصريهما كما هو الحال في غيرهما من العصور، الزراعة نظرا لتوفر الظروف الملائمة للحياة الزراعية.

فقد " اهتم المرابطون بالزراعة اهتماما كبيرا، وساعد على ذلك مهارة أهل الأندلس في الفلاحة، وخبرتهم بالأرض، واستنباطهم الأنواع الجديدة "[4].

---

(1) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس – عصر المرابطين والموحدين–، الدكتور حسن علي حسن، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى، السنة:1980 ص.182.

(2) الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينه فاس، الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي،تصحيح وطبع وترجمة: كارل يوحن تورنبرغ،دار الطباعة المدرسية مدينة أوبسالة، السنة 1833م،ص.108.

(3) ينظر: الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس، – عصر المرابطين والموحدين–، الدكتور حسن علي حسن ص.183/ 185.

(4) الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الطوائف الثاني، ص.164.

ولابد من الإشارة إلى أنه قبل دخول المرابطين الأندلس " مرت بالمزارعين وملاك الأراضي الزراعية كثير من المصاعب والعراقيل بسبب سيطرة الدولة على الإقطاعيات الكبيرة، وكثرة الضرائب التي يحصلها أمراء الطوائف بسبب الحروب المستمرة.." [1].

هذا ناهيك عن اختلاف المناطق الأندلسية من حيث المجال الجغرافي والمناخي وتنوعها وأراضيها الخصبة ومياهها الكثيرة.. كل هاته الأشياء ساهمت في تنويع أساليب الزراعة واختيار طرائق مختلفة لذلك، وهذا الاهتمام انعكس من خلال الدواوين الفلاحية التي شغلت حيزا كبيرا وكِتب فيها الشيء الكثير أيضا، واحتلت دواوين الفلاحة بالغرب الإسلامي حيزًا كبيراً في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وت على مستوى التأليف والفكر الفلاحي في الموارد المثلت على مستوى التأليف في مجموعة من المؤلفات منها: مجموع الفلاحة لابن وافد و كتاب "الفلاحة" لمحمد بن إبراهيم بن بصال وكتاب المقنع في الفلاحة لأبي عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي وكتاب "الفلاحة" لأبي الخير الإشبيلي، وغيرها من المؤلفات التي خصصت لهذا المجال[2].

إلا انه مع مرور الوقت وتغير وضع المرابطين السياسي والاجتماعي وتدهورهما كان من الطبيعي أن يطال هذا التدهور هذا الجانب أيضا، حيث تراجع بشكل ملحوظ في أواخر العهد المرابطي، ليحتل الفاتح الجديد محله ويضع الموحدون أيديهم على أغلب الأراضي الفلاحية كما كان الجفاف الذي أصاب المنطقة ونال منها الكثير من الأسباب التي ساهمت في هذا التراجع، هذا بالإضافة إلى غارات ألفونسو ملك قشتالة على الأراضي والاستيلاء عليها وتخريبها والقضاء على ما بها زرع، وكل ما يمكن التنبيه إليه أن الزراعة مع بداية حكم الموحدين ظلت تعرف انتكاسة كبيرة لم تتمكن من تجاوزها إلا بعد مرور ردح من الزمن[3].

وكما برع المرابطون في أول عهدهم بالزراعة والفلاحة عموما أبدوا أيضا جهدهم في مجال الصناعة بكل أنواعها الملاحية والحربية والفلاحية.

---

(1) المرجع نفسه،ص.164.

(2) كتاب في الفلاحة، ابن خير الأندلسي، نشره الفقيه التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس، 1358هـ/ 1957م، ج2، ص.13-68.

(3) ينظر: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الطوائف الثاني،ص. 168/ 171.

فقد برع المرابطون في استغلال المنتجات الفلاحية في صناعاتهم وعملوا على تقسيم المناطق وفق ما تنتجه من مواد فمثلا مدينة قنتورية وأورية وجيان وغيرها اشتهرت بصناعة الألبان وتجهيز العسل، واشتهروا بصناعة الخبز وتمليح الأسماك لما كانت تتمتع به الأندلس من كثرة الأنهار، وعرفوا أيضا صناعة المنسوجات، إذ تفوق الأندلسيون في عهدهم على كثير من الدول الإسلامية الأخرى، وقد كانت ألميرية نموذجا يتحدى في هذا النوع من الصناعات.[1]

إلا أن التدهور الذي منيت به الفلاحة اشتد ليشمل الصناعة أيضا مع نهاية المرابطين ومستهل عصر الموحدين،كما طال التدهور الجانب التجاري والعمراني، لتعود الأندلس في كل حين ومع كل حكم جديد إلى الانتكاسة والعمل على اللجوء إلى منقذ يسعفها، لتتكرر عمليات الارتقاء والاندحار.

كانت هذه لمحة موجزة عن الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي ولد ونشأ فيه الخزرجي، لم يسعف المقام للتفصيل فيها أكثر، وضع تأرجح بين الاستقرار واللا استقرار عايشه هذا العلامة الذي طاله الكثير من الإغفال ولم يتم تناول شخصيته بكثير من البحث والتنقيب والدراسة والتحليل، ولعل هذا من الأسباب التي أثارت فضولي وفي الوقت ذاته رغبتي في معرفة هاته الشخصية التي لم تبخل بجهد من أجل الذود عن حوزة الإسلام من خلال مجادلاته للنصارى انطلاقا من نصوصهم الأصلية.

---

(1) ينظر: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الطوائف الثاني، ص. 174/ 178.

الفصل الثاني
جهود أبي عبيدة الخزرجي في نقد الكتاب المقدس

وفيـــه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نقد الخزرجي للتوراة سندا ومتنا

المبحث الثاني: نقد الخزرجي للإنجيل سندا ومتنا

المبحث الثالث: عقائد النصارى ومنهج الخزرجي في مناقشتها

المبحث الرابع: شبهات النصارى حول الإسلام وموقف.الخزرجى منها

المبحث الأول: نقد الخزرجي للتوراة سندا ومتنا

تعامل أبو عبيدة الخزرجي في رسالته التي رد بها على القس القوطي بمنطق جدلي- من لسانك أدينك[1]- انطلق فيها بمقدمات يقر فيها اليهود والنصارى بوجود خلل في التوراة، سواء عن قصد أو غير قصد، ليخلص في الأخير إلى أن التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى محرفة، وذلك لغياب السند المتصل فيها.

المطلب الأول: نقد سند التوراة

اعتمد الخزرجي في بيان انقطاع سند التوراة، على ما تداولته ألسنتهم وشهدت به كتبهم، وفي ذلك يقول:"ولا يؤمن إدخال الخلل في الكتب، ولا سيما مع إقراركم أن التوراة كانت طول مدة ملك بني إسرائيل عند **الكاهن الأكبر الهاروني**[2] وحده"[3].

كما اعتمد أيضا في نقده للتوراة وبيان انقطاع سندها على اختلاف نسخ التوراة الموجودة عند اليهود، فيذكر أن فرقة يهودية - يقصد **العبرانيين**[4]- تتهم **الفرقة السامرية**

---

(1) وهو منهج سبقه فيه ابن حزم، أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل.

(2) الكاهن الأعظم هارون وهو أول من تقلد هده الوظيفة ((ولم يحدد زمن وفاته)) حيث تدوم هده الوظيفة مدة حياة صاحبها، وهو المشرف الأول المسؤول عن الهيكل، ولا يسمح لغيره بدخول قدس الأقداس. وعرف الكاهن أيضا في العهد القديم بالوسيط، أنظر:بدر بن محمد طراد المعيقل، جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، إشراف الأستاذ الدكتور محمود مزروعة)، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1425هـ، ص.345. وانظر: قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكسندر طمسن، ذ. إبراهيم مطر، جميع الحقوق محفوظة لشركة compubraill ص.20-23.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.224.

(4) تطلق هذه التسمية على أسباط بني إسرائيل، وهي من أقدم التسميات التي عرف بها بنو إسرائيل في التاريخ، لكن وقع هناك خلاف بين قائل باشتقاق المصطلح من"عابر" أحد أجداد إبراهيم عليه السلام، في مقابل رأي آخر يرى أن اصل الكلمة هو كلمة "خابيرو" Habiri، في مقابل ذلك ذهبت طائفة إلى إطلاق مصلح "عبري"على العبيد،لكن في أغلب الأحيان نجد أن مصطلح عبري يطلق على اليهودي، أنظر:أبراهام مالمات- حييم تدمور، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتقديم الدكتور:رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة،ط1، 2001م، ص.17 - 18.



بتحريف التوراة، والأمر نفسه بالنسبة للسامريين الذين يتهمون العبرانيين بالتحريف[1]، وقد رد القرآن الكريم على هذا التناقض والتكاذب بين الطائفتين ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

كما يتخذ أبو عبيدة الخزرجي من ادعاء النصارى بتحريف اليهود للتوراة وما أنقصوه من تاريخ آدم دليلا على انقطاع السند، وهنا يُطرح السؤال التالي: **إذا انقطع السند في التوراة فكيف يوثق في مصداقيتها والقول بتقديسها؟** ومن هذا الباب خاطب أبو عبيدة النصارى قائلا:"وأنتم تدعون أنهم- يقصد اليهود- حرفوا في التوراة التاريخ[3]، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألف سنة، ونحو المائتين من السنين"[4]. فجعل من هذا التناقض دليلا مبدئيا على تحريف التوراة قائلا: "فكفونا بأنفسهم من غيرهم"[5].

ثم يعقب بعد ذكره لهذا للدليل السابق: "وهذه الأمور لايدعي معها الجزم بعدم تحريف التوراة إلا معاند متعسف"[6].

وبعد هذا الكلام الذي ذكره الخزرجي للدلالة على بطلان سند التوراة، أعقبه بكلام اعتراضي فقال:"فإن قلتم:كان النبيئون صلوات الله عليهم يحكمون بها- أي التوراة- إلى زمن المسيح عليه السلام، والأنبياء معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون من دعوى التحريف، ويحتم عليهم أن يوافقونا على حكم النبيئين بها، لقول القرآن الكريم ﴿...يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ... ﴿٤٤﴾﴾[7] [8].

---

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.224.

(2) سورة البقرة، الآية:113

(3) ورغم هذا الإدعاء من النصارى على اليهود بتحريف التوراة، نجدهم قد اعتمدوا عليه في كثير من تشريعاتهم بل في صياغة أناجيلكم أيضا. أنظر: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى، ص.331.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.225.

(5) المرجع نفسه، ص.224.

(6) المرجع نفسه، ص.225.

(7) المائدة، الأية:44.

(8) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.225.

وقد كان جواب الخزرجى عليهم من وجهين قائلا:

"**أحدهما:** لعل النبيئين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

وثانيهما: أن كل شئ حكموا به فهو صحيح. ثم يعقب الخزرجى على ذلك بقوله:"ولكن لمَ قلتم:إنهم حكموا بجملتها، مع أن الذي حكموا به غير معين، فسقط الاستدلال بالجميع، ولا يفيدكم حكمها شيئا، ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيئين، بعد المسيح عليه السلام"[1]، وبذلك اختلفوا في زمن ظهور المسيح عليه السلام. والدليل نفسه يذكره الإمام القرطبي رحمه الله:"وأما ما ذكرتم من حكم الأنبياء بها، فليس فيه حجة لا مكان أن تنازعوا في قولكم:كانوا يحكمون بها، بل لعلهم كانوا يحكمون بما كان الله يعلمهم بما يوافق شريعة موسى، ولا يخالفها.

ولو سلمنا أنهم كانوا يحكمون بها. فنقول: كل شئ حكم به الأنبياء من التوراة فليس بمحرف، وأما ما لم يحكموا به منها، فلعله الذي حرف...

فإن قيل: فيلزم منه:أن يقر الأنبياء على الخطأ، ويتحدثوا بالكذب. فإنهم كانوا يتحدثون بها. قلنا: ليس بكاذب من حكى شيئا يعتقد صحته، لا يتعلق به حكم الله تعالى، وإنما الكاذب الذي يخبر عن الشئ بخلاف ما هو عليه العلم بذلك. وهذا حد الكذب عندنا، وحقيقته. وهذا. إنما يجوز في حكاية الأخبار التي لا يتعلق بها الحكم، وأما ما تعلق به حكم فلا يجوز، إذ الأنبياء معصومون على فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى"[2].

وفي الإطار نفسه يرى رحمت الله الهندي أن أقوالهم هاته ما هي إلا تخمينات مبنية على الظنون، فلا أساس ولا سند يثبت أن الأنبياء كانوا يتعاملون بها- أي التوراة الحالية- من ذلك قوله:"فلا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي، أو حواري أنه إلهامي، أو

---

(1) المرجع السابق، ص.225.

(2) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، القرطبي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، ج1، ص.192.

واجب التسليم، كذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم، بل نحتاج إلى دليل "[1].

وهكذا استطاع الخزرجى أن يجعل من اختلافاتهم شهادة على عدم موثوقية التوراة، يقول:"واليهود تقر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة، وذلك بعد المسيح في زمن القياصرة، ومن رضي تحريف موضع في كتاب الله، فلا يؤمن منه تحريف الكثير"[2].

من خلال ما سبق يتضح أن التوراة الحالية التي يؤمن بها اليهود لا يمكن بأي حال من الأحوال نسبتها إلى موسى عليه السلام على أنها وحي من الله عز وجل وإضفاء طابع القداسة عليها، وذلك لغياب سند الاتصال فيها، وأن ما يقوم به اليهود والنصارى من أجل إثبات تواترها، ماهي إلا صيحة في واد أونفخة في رماد، وخير دليل على عدم موثوقيتها وتحريفها وانقطاع سندها، ما جاء في الإصحاح الأخير من سفر التثنية من نسبة القول إلى موسى وهو ميت[3]

هنا يطرح السؤال:

إذا كان اليهود يدعون اتصال السند في التوراة ونسبتها إلى موسى فهل استطاعوا أن يثبتوا صحة ما ورد في التوراة من نصوص؟ أم أن غياب السند سيؤدي لا محالة إلى غياب المتن؟ هذا ما سيجيبنا عنه أبو عبيدة الخزرجى في حديثه عن تناقضات نصوص التوراة داخل أسفارها.

---

(1) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ج1، ص.111.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.224.

(3) نص التوراة" فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ.وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ.فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى". ينظر: سفر التثنية: 34/ 5 – 8.

المطلب الثاني: نقد متن التوراة

بعدما انتقد الخزرجى - فيما سبق- التوراة من حيث سندها راح ينتقدها من جهة نصوصها، كاشفا زيفها ومبينا أنها ليست من عند الله تعالى، لما تحويه من الفواحش والكلام البذيء في حق الله تعالى وفي أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وللحقيقة دون زيف لجأ الخزرجى إلى سَرد أدلة من نصوصهم[1] تثبت هذا التحريف، من ذلك:

أ - قولهم بأن الله تعالى تحويه الأماكن والقباب:

جاء في التوراة "أن الله حين أمر بني إسرائيل بالتوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا، وينزل فيها في سيره معهم.

ثم إن موسى قال له:يا رب ! إن هذه الأمة القاسية رقابها، لا تمضي لك إلى الشام، حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله:نعم، إعملوا لي القبة، فعمل موسى القبة، وسماها قبة العهد.ونزل الله على العرش وسار معهم داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم"[2]

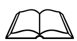
ب- التقول على الأنبياء بما ينافي عصمتهم:

ذكر الإمام الخزرجى رحمه الله جملة من نصوص التوراة التي تحدثت عن الأنبياء عليهم السلام بما ينافي عصمتهم، لكن قبل سرد هذه النصوص لا بأس أن نقف عند مفهوم العصمة في اللغة والاصطلاح.

---

(1) أغلب الشواهد التي كان يستدل بها الخزرجي على تحريف نصوص التوراة والإنجيل هي معاني للنصوص فقط، عدا بعض الإستشهادات القليلية جدا، والتي اعتمد فيها على النصوص الأصلية، ولذلك سأحاول في هذا البحث أن أقتبس كلام الخزرجي كما هو باستثناء بعض التصرفات القليلة في بعض المواضع، مع عزوها إلى نصوصها كما وردت في الكتاب المقدس.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.236، قارن ما جاء في سفر الخروج الإصحاحات:25-26-27-35، وللإشارة هنا فإن محقق "كتاب بين الإسلام والمسيحية" قد أشار فس هامش الكتاب إلى ورود هذه النصوص في كل من الإصحاح:23-40 من سفر الخروج، وبعودتي إلى هاته الإصحاحات لم أجد ما يوافق الكلام أعلاه.



العصمة لغة: العصمة في كلام العرب: المنع، يقال: عصمه يعصمه عصما، منعه ووقاه، وفي التنزيل ﴿...لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ...﴿٤٣﴾﴾[1]، أي لا معصوم إلا المرحوم، واعتصم فلان بالله: امتنع به (...) والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم[2].

واصطلاحا: عرفها الجرجاني:"ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"[3].

وبعد تعريف العصمة في اللغة والاصطلاح نأتي إلى سرد الشواهد التي ذكرها الخزرجي من التوراة والتي تخالف عصمة الأنبياء، من ذلك:

:ȻəǍÁǽÜ ȳǍɳÜ dzʐφ gǿʐɜ 8ǍÎȮφā ğ

جاء في التوراة أن نوحا عليه السلام كان راقدا في خيمته فانكشفت عورته، فضحك ابنه حام من ذلك المنظر، بينما ابنه سام غطى عورة أبيه، ولما استيقظ نوح دعا على ابنه حام بأن يسود لون بشرته ويكون أولاده عبيدا لأخيه حام[4]، والنص كما جاء في التوراة يقول: **(وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ". وَقَالَ: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ)**[5].

ث- اتهام لوط- عليه السلام- بالزنا مع ابنتيه:

جاء في التوراة أن لوطا -عليه السلام – لما خرج من صوغر جلس في مغار مع ابنتيه فقالت الصغرى للكبرى:قد شاخ أبونا، فأرقدينا معه، لنأخذ منه نسلا، فرقدتا معه

---

(1) سورة هود، الآية :43.

(2) ينظر: لسان العرب، ج4، مادة:عصم، ص.2976.

(3) التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1958، باب: العين، ص.156.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.237.

(5) سفر التكوين: 9/ 21 – 26.

وحملتا بأبيهم[1] والقصة كما وردت في سفر التكوين: (وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: "أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ مُوآبَ، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ بِنْ عَمِّي، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ)[2] **ثم يعقب الخزرجي على هذا الفعل الشنيع بقوله:"فهل يحسن أن يكون لوطا نبيا من الأنبياء، ورسولا من الله، ويوقعه الله في مثل هذه الفاحشة؟**[3].

جـ- إتهام داود عليه السلام بالزنى مع زوجة قائده "أوريا":

من ذلك ما جاء في التوراة من "أن داود -عليه السلام- اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها فعشقها، وبعث إليها وحبسها أياما حتى حبلت منه- تعالى الله عن قولهم- ثم ردها.وكان زوجها وهو يسمى"أوريا"غائبا في العسكر، ولما عملت المرأة بالحمل، أرسلت[بخبره] إلى داود، فبعث إلى يؤاب قائده على ذلك المعسكر، يأمره بأن يبعث إليه"بأوريا"زوج المرأة، فجاءه فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها، فينسب الحمل إليه، ففهم "أوريا" المقصد وتخابث عليه ولم يمش إلى أهله، وقال:حاشا الله أن يكون الملك هنا وأمشي أنا إلى أهلي.فلما يئس داود منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقتلا له، فقتل"أوريا"، وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف"[4].يقول النص التوراتي: (**وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ**

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.225-226.
(2) سفر التكوين 19: 30 - 38.
(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.226.
(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.239.

سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدّاً. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. 5وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: إِنِّي حُبْلَى. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ. فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ. فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. فَقَالُوا لِدَاوُدَ: لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ. فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: "أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟ فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي! وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ لاَ أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ. فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضاً، وَغَداً أُطْلِقُكَ. فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوباً إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ. وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً. فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. وَأَوْصَى الرَّسُولَ: عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً. فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً". فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: "هَكَذَا

تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ. فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا نَدَبَتْ بَعْلَهَا)[1].

ح- اتهام يعقوب - عليه السلام- بالجمع بين الأختين:

جاء في التوراة أن إسرائيل[2]كانت له عدة أزواج جمع فيها بين الأختين، جاء في سفر صموئيل الأول: (**ثُمَّ أَخَذَ دَاوُدُ أَخِينُوعَمَ مِنْ يَزْرَعِيلَ فَكَانَتَا لَهُ كِلْتَاهُمَا امْرَأَتَيْنِ.** 44**فَأَعْطَى شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةَ دَاوُدَ لِفَلْطِي بْنِ لاَيِشَ الَّذِي مِنْ جَلِّيمَ**)[3].

خ- يهوذا بن يعقوب يزني بكنته ثامارا:

جاء في التوراة "أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنته"ثمارا"، إمرأة ولديه، وقد هلك عنها واحدا بعد واحد، فردها يهوذا إلى بيت أبيها، ووعدها بتزويجها للولد الثالث المسمى"شيلة"، إذا كبر.(ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهت أيام العزاء)، تصدت(أي ثمارا) ليهوذا في طريقه إلى غنمه، وسترت وجهها، فظنها بغيا، فعدل إليها، ودعاها إلى نفسه، فسألته أجرا، فوعدها بجدي من غنمه، فطلبت منه رهنا، فأعطاها خاتمه، ومنديله، وعصاه، وواقعها- بزعمهم- فحملت منه، ثم إن يهوذا أرسل(رسولا) بالجدي ليطلب رهنه، فلم يجد المرأة، فجاء بنفسه إلى أهل القرية، وقال لهم: أين قحبائكم المتطلبة على الطريق؟ فقالوا:ما كان منا على الطريق قحباء.

ثم إنه قيل له بعد حين: إن كنتك "ثامارا" حبلى، فقال: تحرق بالنار.فأخرجت لتحرق، فقالت: إنما أنا حامل منه، وهذا رهنه بيدي حين زنى بى، ليفكها بجدي من غنمه.

فلما رأى يهوذا الرهن، فكر، ثم قال:هي أصدق مني"[4].وقد وردت هذه القصة في التوراة كما يلي: (**وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ.وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا**

(1) سفر صموئيل الثاني 11: 2 – 26.

(2) المقصود به يعقوب عليه السلام.

(3) سفر صموئيل الأول 25: 43 – 44.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.227.

فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: ادْخُلْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلاً لأَخِيكَ. فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي. لأَنَّهُ قَالَ: "لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ". فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا. وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شُوعٍ امْرَأَةُ يَهُوذَا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ الْعَدُلاَّمِيُّ. فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ. فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: "مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزًى مِنَ الْغَنَمِ. فَقَالَتْ: هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟. فَقَالَ: مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟ فَقَالَتْ: خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ. فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.

فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ الْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَّمِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا. فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً: أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟ فَقَالُوا: لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ. فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: لَمْ أَجِدْهَا. وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ. فَقَالَ يَهُوذَا: لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الْجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا.

وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزِّنَا. فَقَالَ يَهُوذَا: أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ. أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى! وَقَالَتْ: حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ. فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ: هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي. فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا)[1].

---

(1) سفر التكوين:38: 6 – 26.

د- يعقوب يصارع الله فيغلبه:

جاء في التوراة أن الله عز وجل تصارع مع يعقوب، فضرب به يعقوب الأرض، وقد وردت هذه القصة مفصلة في التوراة: (فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِه، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ. فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي)[1].

(1) سفر التكوين 32: 24 – 30.

المبحث الثاني: نقد الخزرجي للإنـجيل سندا ومتنا

على الرغم من المكانة العالية التي تتميز بها الأناجيل عند النصارى- خاصة الأناجيل الأربعة: **متى** و**مرقس** و**لوقا** و**يوحنا**- وعلى الرغم من وجود شخصية يسوع المحورية فيهما- والتي أضفت على هذه الأناجيل طابع القدسية- فإن ذلك لم يمنع أبا عبيدة الخزرجى من سبر أغوارها وبيان تناقضها سندا ومتنا.

المطلب الأول: نقد سند الإنـجيل

أثبت الخزرجى غياب السند في تواتر الإنجيل -على الصورة التي هو عليها الآن- وذلك في معرض رسالته التي رد بها على القسيس القوطي[1] بقوله:"أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله وأين كلماته من بين هذه الكلمات إن الذي تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظا- وهو قليل- لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله، فنحن لا نقول:إن كل ماتكلم به محمد ﷺ قرآن، وقد نقل عنه القرآن–الموحى به من ربه لفظا–نقلا متواترا، يقطع بصحته الخلف والسلف، أما أنتم فلا يتعين لكم شئ مما أنزل الله أبدا، فضلا عن نقله بعد تعيينه"[2].

ويستنبط من كلام الخزرجى أن الإنجيل أو الأناجيل التي يؤمن بها النصارى حاليا ليست وحيا من الله، بل هي كلام بشري مخالف للطبائع البشرية، فليس فيها ما يدل على رواية العدل عن العدل كما هو الحال بالنسبة للقرآن والأحاديث النبوية عند المسلمين، مما يجعل مسألة تحريفها أمرا لا مراء فيها.

ولتبرير هذا التحريف لجأ بعض المؤرخين من النصارى إلى القول بوجود نسخة أصلية للإنجيل من ذلك ما ذهب إليه "**أكهارن**" قائلا:"إنه كان في ابتداء الملة المسيحية

---

(1) جاء في رسالة القس- التنصيرية- التي بعث بها إلى الخزرجي:"وأنتم تقولون:إن في التوراة والإنجيل والزبور والنبوات خللا كثيرا، وأننا زدنا فيها ونقصنا وهذا من كفركم، وليس معكم على ذلك دليل، ولا هو مكتوب أيضا في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم، وإنما كلام قلتموه أنتم".أنظر: بين الإسلام والمسيحية، ص.92.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.150.

في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة، يجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب"[1].

إذن بعد هذا الكلام للمؤرخ المسيحي الذي يقر بوجود نسخة أصلية للإنجيل، يمكن أن يتساءل كل عاقل أين اختفى هذا الإنجيل؟ وكيف اختفى؟ ولماذا اختفى؟ وكيف حرف ما دام أنه كان في أيادي آمنة من المريدين الذين عرف عنهم الزهد والتشبث بالأصول؟

للإجابة عن هذا السـؤال أو عن هذه الأسئلة نقف جميعا مع هذا النص لعبد الرحمن الباجي زاده يصف فيه حال انقطاع سند الأناجيل بقوله:"إن الاضطهادات التي جرت على الأمة النصرانية هي التي أنتجت ضياع الإنجيل الصحيح، وتركتهم في مشكل من تعدد الأناجيل، وتجدد الأباطيل، وقد ذكرها العلماء منكم الواقفون على علم التاريخ وقوفا لا تنكرونه(...) صرحوا في كتبهم التي ألفوها بذلك، وأوضحوا فيها أحوال النصرانية وما جرى عليها من الفساد وأن تلك الاضطهادات التي أوجبت ذلك الفساد بدأ ظهورها سنة 36م. وتكرر وقوعها سنة 65، 95، 107، 118، 212، 250، 257، 274، 303، إلى سنة 404م. حتى استقر الحال على هذه الأناجيل"[2].

وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي عان منها النصارى طوال هذه المدة في تاريخ ديانتهم، من أنواع الاضطهاد وألوان الاضطراب، مما يستعصى عليهم الاحتفاظ بأناجيلهم التي دونوها،هذا فضلا عن مقصدية هؤلاء المحاربين لهم فقد كان هدفهم الأساس هو استئصال شوكتهم حتى لا تبقى عقبة أمام نشر عقائدهم، ولعل هذا من بين الأسباب الأساسية التي أدت إلى فقدان اتصال السند، وقد أقر بذلك بعض القساوسة كما جاء على لسان رحمة الله الهندي حين كان في معرض مناظرته مع أحد القساوسة قائلا:"واعتذر بعض

(1) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1381هـ/ 1961م، ص.52.
(2) عبد الرحمن الباجي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1407هـ/ 1987م، ص.15.

القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة"[1].

هذه الأسباب وغيرها فتحت الباب على مصراعيه أمام كتاب الأناجيل لإدخال كل ما يرونه مناسبا من أجل إثبات بعض العقائد التي لا تستند إلى سند صحيح، بل الأدهى من ذلك أنها أثبتت فسادها من خلال تناقضها فيما بين الأناجيل، وفي كثير من الأحيان متناقضة بين إصحاحات الإنجيل وقد علق الخزرجي على هذه التناقضات والاختلافات قائلا:"ومن طالع كتبكم، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أهل سبأ...فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو، أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شئ من أمر الدين، وإنما هو فكاهات في المجالس. وتقولون مع ذلك:إن الإنجيل كتاب الله، أنزله إلينا، وأمر المسيح باتباعه"[2].

---

(1) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ج1، ص.111.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.149.

المطلب الثاني: نقد متن الإنـجيل

قام الإمام الخزرجي بدراسة التوراة والإنجيل دراسة علمية متأنية، وقد ساعده في ذلك اطلاعه الواسع على كتبهم وبعض تفاسيرها ومحاورتهم بها، فخلص إلا أنها مضطربة ومتناقضة فيما بينها، ويتضح ذلك في كتاب "بين الإسلام والمسيحية" الذي رد به على رسالة القس القوطي التنصيرية، حيث وقف على مجموعة من نصوص التوراة والإنجيل التي طالها التحريف، والمتناقضة فيما بينها، سواء أكان التناقض داخل إصحاحات الإنجيل الواحد أو إصحاحات الأناجيل المختلفة، وقد ذكر الخزرجي شواهد عدة من هذه التناقضات نذكر منها ما يلي:

الفرع الأول: التناقض داخل إصحاحات الإنـجيل الواحد

- الشاهد الأول:

أورد الخزرجي في إنجيل يوحنا أن المسيح قال إن شهادته عن نفسه غير مقبولة وفي الإصحاح الآخر من الإنجيل ذكر بأن شهادته عن نفسه حق[1]، وأصل النصين كما وردا في النسخة المترجمة[2] التي بين أيدينا هما:

(إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا)[3] وفي موضع آخر من الإنجيل نفسه قال:(وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَق)[4]، وقد علق الخزرجى على هذه النصوص بسؤال يراود ذهن كل عاقل:"أخبرني كيف تكون شهادته حقا وباطلا، ومقبولة وغير مقبولة وكيف يجمع هذا في كتاب منسوب إلى الله تعالى"[5]، فعلى الرغم من قصر تعليق الخزرجى على النصين فإن منهجه في إثبات تناقض إصحاحات الإنجيل واضح وقد وافقه في ذلك مجموعة

---

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 140

(2) الكتاب المقدس، أي كتاب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.Arabic Bible43 30.1M-1985.

(3) إنجيل يوحنا:5/ 31، (وردت في كتاب الخزرجى" بين الإسلام والمسيحية" -فشهادتي غير مقبولة- ص.140)

(4) إنجيل يوحنا: 8/ 14.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.140.

من العلماء، من ذلك ما ذهب إليه الإمام القرافي(626ـ684هـ) حين فند هذه النصوص فقال:"...وقالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة، فجعلوا الله تعالى رجلا، وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها، وهذا كلام ينزه عنه المسيح(عليه السلام) وأصحابه"[1]

- الشاهد الثاني:

ومن التناقضات الإنجيلية التي ذكرها الخزرجى ما ورد في إنجيل "متى" عن المسيح عليه السلام حين خاطب بطرس: طوبى لك يا شمعون بن الحمام، وأنه سيمنحه مفاتيح السماء، ثم إنه في الإنجيل نفسه والإصحاح نفسه وصفه بالشيطان[2]، والنصان كما وردا في نسخة الإنجيل المعتمدة[3]:

- الشاهد الثالث:

(...طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ)[4]

- الشاهد الرابع:

(اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ)[5]

يقول الخزرجى معلقا على هذين التناقضين:"فكيف يكون شيطانا جاهلا ويطيعه صاحب السماء"[6]إنه تناقض يستوقف ذهن كل قارئ لهذا النص، فكيف يعقل أن ينتقل

---

(1) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، القرافي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/ م،ط1، 2005، ص.48.

(2) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.148.

(3) الكتاب المقدس(أي كتب العهد القديم والعهد الجديد) وقد ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، Arabic Bible 43 30. 1M- 198

(4) إنجيل متى:16/ 17-19.

(5) إنجيل متى:16/ 23.

(6) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.148.

بطرس – تلميذ المسيح– من مرتبة منح له فيها عيسى مفاتيح ملكوت السموات إلى شخص غير مرغوب فيه؟ بل أكثر من ذلك نعته "بالشيطان"؟" فأي الأقوال تصدق في حق بطرس وجميعها منسوبة إلى المسيح؟"[1].

يقول المهندس أحمد عبد الوهاب في تعليقه على هذا التناقض الظاهر:"لقد نسي كاتب إنجيل متى التوفيق بين ما سطره في صفحة واحدة، افتتحها بجعل بطرس:وكيلا للمسيح يحل ويربط كما يشاء، لكنه ما لبث أن اختتمها بجعل بطرس أيضا:شيطانا ومعثرة للمسيح"[2] ويصف الدكتور محمد شلبي شتيوي هذا التناقض قائلا:" مما يؤسف له، ومما يثبت فساد الأناجيل أنه بعد هذا النص بآيتين فقط نرى نصا آخر ينسب إلى عيسى متعارضا مع النص السابق، فصاحب الحل والربط الذي بيده مفاتيح السموات– بل ملكوتها– يكون بعد قليل شيطانا رجيما، وعقبة كؤود في طريق عيسى عليه السلام"[3] وقد علق رحمت الله الهندي على هذا التناقض أيضا بقوله:"من كان متصفا بهذه الصفات أيكون مالكا لمفاتيح السموات "[4]

- الشاهد الخامس:

ذكر الخزرجي أن المسيح عليه السلام حين علم بقدوم اليهود للقبض عليه واقتياده إلى خشبة الصلب ناجى الرب لتخليصه من هذه المكيدة، وفي نفس الإنجيل يذكر أنه حين رفع في الخشبة ليصلب نادى ربه لماذا شبقتني[5] وأصل النصان كما وردا في نسخة الإنجيل المعتمدة هما: (**فَقَالَ لَهُمْ:نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي ثُمَّ تَقَدَّمَ**

---

(1) هل العهد الجديد كلمة الله؟، د منقذ بن محمود السقار، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص.206.

(2) المهندس أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية– خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب– مكتبة وهبة، بايدن، 1408هـ/ 1988م، ط2، ص.92.

(3) الإنجيل دراسة وتحليل، د.محمد شلبي شتيوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1404هـ/ 1984م، ص.90.

(4) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1410هـ/ 1989م، ط1، ج1، ص.234.

(5) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.141.

قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِه، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ)[1]

- (وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)[2]

وقد رد الخزرجى على هذا التناقض المخالف للذهن فقال:"فكيف يجزع هو مما حرض عليه قبل؟، أم كيف يكون إلها وتجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابنا لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له؟"[3]، وورد عن ابن قيم الجوزية في الموضوع ذاته قوله:"فكيف يجتمع هذا مع قولكم:إنه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا...وكيف يجزع إله العالم من ذلك؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي اختاره ورضيه؟ ! وكيف يشتد صياحه ويقول:"يا إلهي لما أسلمتني"وهو الذي أسلم نفسه؟ ! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله أم كان ربا عاجزا مقهورا مع اليهود"[4] وقد رد أبو العباس القرطبي على هذه النصوص وفند صحتها وبين تناقضها[5].

- **الشاهد السادس:**

من تناقضات الإنجيل أيضا، ما ذكره المسيح بأنه لم يأت ليصلح في الأرض بل جاء ليعيث فيها فسادا فيفرق بين المرء وابنه وبين الأم وابنتها، لكنه يخبرنا في الإنجيل نفسه بعكس ما قاله في الأول، بحيث أنه أتى لنشر الخير والحياة بين الناس[6].

---

(1) إنجيل متى:26/ 38-39.

(2) إنجيل متى:27/ 46.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.141.

(4) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تقديم وتحقيق وتعليق:الدكتور أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1399هـ/ 1979م، ص.219.

(5) ينظر: حوار الأديان في الأندلس، أبي العباس القرطبي، تقديم وتعليق وتحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مدبولي الصغير، دون طبعة، ص.108، وقد اعتمد القرطبي في رده على هذه التناقضات على كتاب الخزرجى مقامع الصلبان (بين الإسلام والمسيحية) دون الإشارة إلى من صاحب النص.

(6) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.146.

ففي الأول قال: (**لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ**)[1].

وفي الإنجيل نفسه أيضا ورد عنه أنه قال:(إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا، وأصلح بين الناس)[2].

علق الخزرجى على هذه النصوص قائلا:"ففي الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم، وفي الثاني رحمة عليهم، وهذا كلام نبرئ الحواريين منه"[3]، ففي هذين النصين من التناقض ما لا يحتاج إلى تفسير ولا تعليق، فكيف يتوعد المسيح بسفك الدم والتفرقة بين الأهل في النص الأول وفي الآخر يعد بنشر الرحمة والحياة والإصلاح بين الناس؟فأما النص الأول فهو"يدعوا إلى الرحمة والوداعة والتقى والسلام والبر، والنص الثاني يرمز إلى القوة والقهر والإجبار"[4]

(1) إنجيل متى:10/ 34-36.

(2) إنجيل متى الإصحاح الخامس والسادس والسابع، ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 146.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.148.

(4) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، دة. سارة بنت حامد محمد العبادي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص.210.

الفرع الثاني: التناقض بين إصحاحات الأناجيل المختلفة

إذا كانت نصوص الإنجيل متناقضة داخل إصحاحات الإنجيل الواحد فإن التناقض في النصوص طال كذلك إصحاحات الأناجيل المختلفة، وقد ذكر الإمام ابن أبي عبيدة الخزرجي بعضا من هذه النصوص المتناقضة نذكر منها على سبيل المثال:

- الشاهد الأول:

ورد نصان في كل من إنجيل "لوقا" وإنجيل" متى"، يخبران عن المرأة التي صبت الطيب على المسيح[1]، بحيث ورد في "لوقا" أنها صبت الطيب على رجلي المسيح بينما في "متى" يذكر النص أنها صبت العطر على رأس المسيح،وهذان هما نصا الإنجيل:

- النص الأول: (.. وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قِائِلاً: "لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ)[2].

- النص الثاني:(تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ.)[3]

وقد جاء رد الخزرجي قائلا:"فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف؟"[4]

على الرغم من قصر تعليق الخزرجي على هذا النص، فإن القارئ لهذين الإنجيلين أو النصين المتناقضين تستوقفهما اختلافات واضحة يمكن إجمالها في ما يلي:

---

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.144.

(2) إنجيل لوقا:7/ 36-50.

(3) إنجيل متى:26/ 7.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.144.

في إنجيل لوقا يذكر الفريسي أن المرأة التي دخلت على المسيح هي امرأة غير معروفة لم يستطع المسيح التعرف عليها بخلاف ما جاء في إنجيل متى فهي امرأة تدعى مريم ويعرفها المسيح، كما أن هذه المرأة في إنجيل لوقا كانت تبكي وتبلل قدمي يسوع بالدموع وتدهنهما بالطيب، وهو ما لم يرد في إنجيل متى حيث أن المرأة هنا لم يرد أنها كانت تبكي، كل ما في الأمر أنها سكبت عطرا باهض الثمن على رأس يسوع، ويتضح ذلك من كلام تلاميذته لما رأوها وهي تصب العطر قالوا:": **لِمَاذَا هذَا الإِتْلاَفُ؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا الطِّيبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ**"[1].

- الشاهد الثاني:

من النصوص التي ذكرها الخزرجى أيضا أنه ورد في إنجيل "لوقا" أن عيسى عليه السلام طلب من تلميذين له الذهاب إلى الحصن حيث يجدان جحشا فيأتيان به إليه، وفي موضع آخر من إنجيل"متى" ورد ذكر الأتان والجحش معا[2]، والرواية كما وردت في الإنجيلين معا هذا نصها:

- **النص الأول:(اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ)**[3].

- **النص الثاني: (اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَاني بِهِمَا)**[4].

وقد علق الخزرجى على هذا التناقض قائلا:"فحسبك هنا من خلل ووقوع تشكيك"[5].

والتناقض نفسه وقف عنده الإمام الجويني حيث فند ما جاء في الإنجيلين من التباين قائلا:"فاعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها، كيف تباينت معانيها واختلفت حكاياتها؟

---

(1) إنجيل متى:26/ 8-10.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.144.

(3) إنجيل لوقا:19/ 30.

(4) إنجيل متى:21/ 2.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.144.

وأعجب من ذلك: غفلتهم عن هذه النصوص وأمثالها، وركونهم إلى أن جميعها جار على السداد حتى لو تفوه أحد منهم بما يوهم خللا في معانيها حكموا بسخافة عقله !!"[1]

- الشاهد الثالث:

من التناقضات أيضا- التي ذكرها الخزرجى- ما قاله المسيح عن يوحنا المعمدان بأنه أحسن وأعظم ما أنجبت النساء، وفي إنجيل آخر ينفي النبوة عن نفسه[2]، ففي إنجيل متى ورد النص بهذه الصيغة: (**اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ.**)[3].

وفي إنجيل "يوحنا" جاء ذكر ما يلي: (**وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. فَسَأَلُوهُ:"إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟" فَقَالَ: لَسْتُ أَنَا. "أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟" فَأَجَابَ: لاَ. فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟"قَالَ: أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ. وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ:"فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟" أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلاً: أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.وَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ**)[4].

وجاء في تعليق الخزرجى على هذا الأمر قوله:" ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته"[5] وقد رد تقي الدين الجعفري على هذا التناقض قائلا:"فشهادة المسيح ليوحنا بأنه أفضل أهل زمانه دليل على غلط النصارى في دعوى ربوبية المسيح"[6].

---

(1) شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، عبد الملك بن عبد الرحمن بن يوسف الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، دون طبعة، ص.50.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.148.

(3) إنجيل متى:11/ 11.

(4) إنجيل يوحنا:1/ 19-27.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.148.

(6) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تقي الدين الجعفري، دراسة وتقديم، خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، 2005م، ص.70.

وقد سبقه في ذلك ابن حزم (ت 456) حين قال معلقا على التناقض نفسه:"تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم، وقرة عيون الأعداء، وقولا لا يمكن أن يقوله ولا ينطق به صبي، يرجى فلاحه، ولا أمة وكفاء إلا أن تكون مدخولة.العقل، أثبت أنه لم يولد في الآدميين أشرف من يحيى..؟ وإذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى، فكل مؤمن يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل من يحيى، فوجب من هذا أن كل مؤمن يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل من يحيى، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بني آدم فهو أفضل من يحيى، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن. فما هذا الهوس..؟ وما هذا الكذب وما هذه العبارة السمجة في الدين..؟وكم هذا التناقض..؟والله ما قال المسيح قط شيئا من هذه الرعونة، وما قالها إلا الكذاب متى ونظراؤه عليهم اللعنة، فلقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين"[1].

هكذا يتبين لنا أن التوراة والإنجيل حبلى بالمتناقضات بين ثنايا نصوصها والتي لا تمت بصلة إلى أي دليل عقليا كان أم نقليا، مما جعل أيدي العلماء والنقاد تطالها بالنقد والتمحيص وبيان الشبه والافتراءات فيها، مما حدا باليهود والنصارى إلى الخروج عن المنهج الإلهي الذي ارتضاه لهم.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق:الدكتور محمد إبراهيم نصير والدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت،ج2، ط2، 1416هـ/ 1996م، ص.69.

المبحث الثالث: عقائد النصارى ومنهج الخزرجي في مناقشتها

المطلب الأول: عقيدة الألوهية عند النصارى

[illegible] [1] [illegible] la divinité du Christ [illegible].

الجواب على هذا السؤال يقتضي منا الوقوف عند أناجيلهم وقفة قصيرة لمعرفة ما إذا كانت تقر بألوهية عيسى عليه السلام أم لا، لكن الواقع يثبت خلاف ذلك، فبالرجوع إلى إنجيل متى نجده يثبت الألوهية لله وحده ويقر بوحدانيته تعالى حيث يقول:" **وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**"[2].

وقد جاء على لسان عيسى عليه السلام في وصاياه لإسرائيل: (**إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى**)[3].

إلى جانب هذه النصوص التي تنفي الألوهية والوحدانية عن عيسى عليه السلام، نجد نصوصا أخرى تثبت أنسنة عيسى عليه السلام وأنه بشر وليس إلها، من ذلك ما جاء

---

(1) ألوهية المسيح، ملاك لوقا، مكتبة المحبة بالقاهرة(ب-ت)، ص.60، نقلا عن: عبد الخالق مسعد عبد السلام، الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، سلسلة الرسائل الجامعية العدد 12، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط1، 1429هـ/ 2008م، ص.519.

(2) إنجيل متى:23/ 9.

(3) إنجيل مرقس:12/ 29-30.

في إنجيل مرقس من قوله عليه السلام(**وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ**)[1].

بعدما تبين لنا مدى إقرار الأناجيل النصرانية ببشرية عيسى عليه السلام وإثبات الألوهية لله وحده، نطرح سؤالا: من أين جاءت هذه العقيدة إلى النصارى حتى يعبدونها ويقدسونها ويعتبرونها جزءا لا يتجزأ من عقائدهم، ولا يتم إيمان المرء بالنصرانية إلا بالإيمان بها؟.

يذهب كثير من علماء الأديان إلى القول بنسبة هذه العقيدة إلى بولس[2] الرسول الذي راح ينشر أفكاره في أوساط الناس والقول بألوهية عيسى وأنه ابن الله الذي جاء ليخلص البشرية من العذاب، ويعتبر بولس "الشخصية الأكثر خطورة في تشكيل النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم"[3] ولذلك اعتبره كثير من النقاد المؤسس الحقيقي للنصرانية، يقول محمد أبو زهرة:"وإن لبولس هذا لشأنا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب إلى أحد سواه، وقد تأثر المسيحيون، خطاه وتعرفوا أخباره أقواله، ما دونه منها في رسائله[4]، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه، وإن لم يدونه هو، وتأثروا أعماله، فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه، واعتبروه القدوة الأولى"[5].

---

(1) إنجيل مرقس:13/ 26.

(2) كان في البداية يدعى" شاول"، وهو اسم عبري معناه"المطلوب"أو"المرغوب فيه" كان يهوديا منسبا إلى جماعة الفريسيين، وكان أشد المتعصبين ليهوديته، أماعن تنصره وانضمامه إلى النصرانية تقول المصادر أنه كان يكن عداءا وحقدا دفينا للمسيح وتلاميذه الأمر الذي جعله يتنكر ويعتنق المسيحية من أجل هدم تعاليم المسيح، ومباشرة بعد اعتناق النصرانية أطلق على نفسه اسم"بولس" وهو اسم روماني ومعناه"الصغير"، وكان يلقب نفسه باسم"بولس الرسول"وقد ولد بمدينة طرطوس اليونانية، مايبن عامي 5و15 ميلادية، من أبوين يهوديين، ومباشرة بعد وفاة المسيح أعلن نفسه بشكل رسمي على أنه بولس الرسول، وأخذ في نشر عقائده في صفوف المسيحيين، ينظر: "تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه"، ص.131-142.

(3) تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، بسمة أحمد جستنية، دار القلم، دمشق،ط1، 1420هـ/ 2000م، ص.131.

(4) رسالة إلى أهل رومية، رسالتان إلى أهل كورنثيوس، رسالة إلى أهل غلاضية، رسالة إلى اهل أفسس، رسالة إلى أهل فيلبي، رسالة إلى أهل كولوسي، رسالتان على أهل تسالونيكي، رسالتان إلى أهل تيموثاس، رسالة إلى تيطس، رسالة إلى فليمون، رسالة إلى العبرانيين، أنظر: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، ص.110.

(5) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص.65.

هذه العقائد لم تكن رهينة عصر بولس فقط بل استمرت لتشمل اللاحقين من أتباع بولس كما هو الأمر بالنسبة للقسيس القوطي الذي حاول أن يقنع الإمام الخزرجي بما يؤمن به النصارى من عقائد.

الفرع الأول: شبهة القسيس في إثبات ألوهية المسيح

بعث القسيس القوطي برسالة تنصيرية إلى أبي عبيدة الخزرجي يدعوه فيها إلى الإيمان بألوهية المسيح، وذلك قوله:"فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته، وتفوز بجنته، فآمن بالله وقل إن المسيح ابن الله والروح القدس، ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد فستنجح وترشد"[1].

وقد استدل القسيس على ألوهية المسيح بمعجزته في إحياء الموتى، يقول:"وفي الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك، أنه أحيا الموتى[2] وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله"[3].

وفي رده على رسالة القسيس القوطي، يبين أبو عبيدة الخزرجي أن هذا الأخير استدل على ألوهية المسيح بما يؤمن به المسلمون من معجزة إحياء عيسى للموتى، إلا أن هذا الإحياء يختلف من حيث المصدر، فالمسيحيون يعتقدون أن إحياء الموتى موكول إلى عيسى عليه السلام وحده، بينما يؤمن المسلمون بأن معجزة إحياء الموتى لم يختص بها عيسى عليه السلام فحسب بل شاركه فيها غيره من الأنبياء والرسل، فكثير "من معجزات الأنبياء السابقين على عيسى ما هو أدعى للعجب وإثارة الانتباه"[4] ومع ذلك لم يصل هؤلاء الأنبياء والرسل إلى مرتبة الألوهية التي يدعيها النصارى للمسيح ابن مريم، بل إن إبراهيم عليه السلام قد أحيا الله من أجله أربعة من الطير، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.68.

(2) إشارة من القسيس القوطي إلى قوله تعالى:(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران:49).

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.69.

(4) الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، د. عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،ط1، 1413هـ/ 1992م، ص.386.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[1]، ثم إن موسى عليه السلام قد أوحى إليه الله بإماتة جماعة من بني إسرائيل وإحيائهم بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، وبهذا يمكن القول: أن معجزة إحياء الموتى لم تقتصر على سيدنا عيسى فقط وهذا بشهادة القرآن الكريم، وإذا بطلت هذه الدعوى بطلت شبهة تأليه المسيح[3].

وبدون أمر منه سبحانه لن يقوى -عليه السلام- على فعل أي شئ. أما ما ادعاه القس القوطي من معجزة عيسى على إحياء الموتى اعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم إنما يدل على جهل القسيس بالقرآن الكريم مما حدا به نحو الفهم الخاطئ، وهو ما عبر عنه الخزرجي في معرض رده على رسالته: "أيها الأعجمي الألكن الطاعن على كتاب الله جهلا، ولا يعرف لخطابه فصلا، والملتمس له تأويلا(...) فعلمت أنه منزل بلغة لا تعلمها، وعبارة لا تفهمها.﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ... ﴿٧﴾﴾[4] [5].

ولم تكن ردود أبي عبيدة الخزرجي على القسيس القوطي عشوائية، وإنما احتكم فيها إلى مناهج علمية استطاع من خلالها إفحام القسيس القوطي وبيان ضلالته، فتارة يستعمل المنهج العقلي وتارة المنهج النقلي، وتارة أخرى يمزج بينهما، ليدلل على خطأ القسيس القوطي، وفي مواضيع أخرى يحتكم إلى المنهج التاريخي كحل أخير لإبطال شبهات القسيس القوطي.

وسنحاول في هذا المبحث أن نتحدث عن العقائد النصرانية التي فندها الخزرجي مع ذكر المنهج المتبع في مناقشة كل عقيدة على حدة.

---

(1) سورة البقرة، الآية:260.

(2) سورة البقرة، الآية: 55، 56.

(3) ينظر: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، ص.387 – 388.

(4) سورة آل عمران الآية:7.

(5) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.124.

الفرع الثاني: المنهج العقلي[1] في الرد على عقيدة الألوهية

بعد أن رد أبو عبيدة الخزرجي على شبهة القسيس القوطي حول ألوهية المسيح، لجأ إلى سرد أدلة عقلية فند بها هذه الشبهة من ذلك:

قوله مخاطبا القسيس القوطي: "كتبتم في الإنجيل الذي بين أيديكم أن الرب صعد، فصار على يمين الرب في إثر الصلب[2]"[3]، ليضيف مستهزئا من كلام القسيس:"أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربين:من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز، ليس بإله، وإن أراد أمرا، لمن الحكم منهما؟ فإن كان أحدهما مضطرا إلى مشاورة الآخر، ومساعدته، كان المضطر عاجزا مقهورا، ولم يكن إلها قادرا، وإن كان قادرا على مخالفته، ومدافعته، فهو إذن إله مداهن، ويكون الآخر ضعيفا، عاجزا مقدورا عليه"[4]. وقد احتكم الخزرجي في هذا الموضع إلى دليل من القرآن الكريم والمعروف عند المتكلمين بدليل التمانع[5] والمتمثل في قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[6]، وهذا الدليل يقضي باستحالة وجود آلهة متعددة والتي ستؤدي لا محالة إلى فساد نظام الكون، وهو ما عبر عنه في الآيتين السابقتين، وهو بذلك يلزم القسيس القوطي بأحد الأمرين: إما أن يعترف بوجود إله ثان وذلك محال عقلا لتمانع وجود إلهين في الكون، وإما أن يقر بتكذيب ما يعتقده وفي ذلك هدم للكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى.

---

(1) "هو طريقة دراسة الأفكار والمبادئ العقلية. ويقوم على على قواعد علم المنطق الأرسطي، فيلتزم الحدود والرسوم في التعريف، والقياس والاستقراء والتمثيل في الاستدلال" أنظر: أصول البحث، للدكتورعبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص.53.

(2) نص الإنجيل:"ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ"(مرقس:/ 16 – 19)

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.168.

(4) الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص.168 – 169.

(5) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري، صححه وعلق عليه:د.حمودة غربة، مكتبة الخانجي،القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1955، ص.21 – 22.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 22. وهذه الآية يستدل بها المتكلمون في حديثهم عن استحالة وجود آلهة متعددة مما يفضي بنا إلى القول باحتمال كون أبو عبيدة الخزرجي أشعريا على الرغم من عدم وجود أية إشارة إلى أشعريته في كتب الطبقات والتراجم.

وفي مواضع أخرى نجد أبا عبيدة الخزرجي يسلم للقسيس القوطي بما يقول ليجعل من كلامه حجة ودليلا على بطلان تلك الشبهة، كقوله:"قلتَ:إن عيسى في حال الألوهية التي تصفونه بها، قد أيد نفرا من الحواريين بإحياء الموتى- بزعمكم-، وجعلهم رسلا إلى الأجناس، فأحيوا الموتى بزعمك.فما الذي أوجب أن يكون المسيح في حال الألوهية، قد أيد بذلك بشرا، وجعله رسولا إلى الأجناس، ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد بشرا، ويجعله رسولا إلى الناس؟"[1].

نلاحظ أن الخزرجي هنا في رده على شبهة تأليه عيسى عليه السلام استعمل منهجا إلزاميا ألزم من خلاله القسيس القوطي بالاعتراف بأحد الأمرين: إما أن يقول بألوهية الأحبار، وهذا مخالف لما يعتقده النصارى، وإما أن يعترف بأن هؤلاء الأحبار أوحي إليهم بمعجزة الإحياء من عند الله، وبذلك سيكون عيسى عليه السلام نبيا موحى إليه كباقي الأنبياء.

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.132.

الفرع الثالث: المنهج النقلي[1] في إبطال ألوهية المسيح

لم يحتكم الخزرجي في رده على شبهة القسيس القوطي حول الألوهية إلى المنهج العقلي فقط، بل احتكم أيضا إلى أدلة نقلية منتقاة من كتب النصارى يبطل من خلالهما دعوى القسيس القوطي حول ألوهية المسيح ويثبت نبوته من نصوص أناجيلهم، بالإضافة إلى الاحتكام إلى المصدر الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم باعتباره المصدر الوحيد الناسخ للديانات السماوية الثلاث.

أ- المصادر النصرانية:

لقد ذكر أبو عبيدة الخزرجي مجموعة من النصوص الإنجيلية[2] التي تفند ألوهية عيسى عليه السلام وتقول بنبوته وبشريته نذكر منها ما يلي:

قوله "**وفي الإنجيل لمرقس** أن رجلا أقبل إلى المسيح وقال له:"**أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية، فقال له: لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا، قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع: لاتقتل، ولا تزن، ولا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك**[3]"[4].

---

(1) هو طريقة دراسة النصوص المنقولة، ويقوم على توثيق إسناد النص إلى قائله والتحقق من سلامة النص وفهم مدلول النص، أنظر: أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، ص.52.

(2) في ذكره لأدلة من نصوص الإنجيل يذكر أبو عبيدة الخزرجي أحيانا نص الدليل إذا كان مختصرا، وفي غالب الأحيان يكتفي بذكر معاني النصوص فقط، وذلك إذا كان ذكرها يحتاج إلى نصوص طويلة، ولذلك سأحاول أن أثبت النصوص في الهامش كما وردت في نسخة الكتاب المقدس المعتمدة في هذا الكتاب.

(3) . ورد النص في إنجيل مرقس هكذا:" وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ"(مرقس: 10/ 17- 19). كما ورد هذا النص أيضا في إنجيل متى:" وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ فَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"(متى: 19/ 16- 19).

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 127 - 128.

ويعتبر هذا النص دليلا واضحا وقاطعا على نفي ألوهية المسيح، بل أكثر من ذلك أنه رفض تسميته ب"الصالح" مما يدل على أن الصلاح والفلاح موكول إلى الله وحده، بالإضافة إلى أن هذا النص جاء لينفي الألوهية عن أي كان على وجه الأرض، وأن عيسى ما هو إلا معلم يتلقى الوحي بأمر من الله وهو ما ورد في النص على لسان تلاميذه"أيها المعلم الصالح".

وذكر الخزرجي أيضا نصا جاء في إنجيل يوحنا أن اليهود لما أرادت القبض على المسيح عليه السلام واستشعر بذلك، رفع بصره إلى السماء، وقال: قد دنا الوقت يا إلهي فشرفني لديك، واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتني، الحياة الباقية، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحدا، وبالمسيح الذي بعثت[1]" [2].

وهذا النص الذي استدل به الخزرجي على نفي ألوهية المسيح لا يقل أهمية عن النص الأول من حيث كونه جاء مؤكدا على مدى ضعف وعجز المسيح أمام قوة وجبروت الله، فلو كان المسيح إلها – كما يدعي النصارى- لما احتاج إلى مد يد المساعدة والعون من الله وهو عمل بشري يقوم به العبد الضعيف الطالب لعون من الله وهو ما يتنافى مع ألوهية المسيح كما يدعى النصارى.

ويستطرد أبو عبيدة في ذكر النصوص التي تؤكد بشرية عيسى ونبوته، ومن ذلك قوله:"وفي إنجيل يوحنا حين قال عيسى لليهود: لست أقدر [أن] أفعل من ذاتي شيئا لكنني أحكم بما أسمع، لأنني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني[3]"[4].

---

(1) النص كما جاء في إنجيل يوحنا:" **تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ**"(يوحنا:17/ 1 – 5).

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.128.

(3) نص إنجيل يوحنا:" **أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي**"(يوحنا:5/ 30).

(4) الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص.129.

وهذا دليل قطعي على عجز المسيح عن فعل أي شي دون أمر من الرب، فهو رسول وعبد مأمور يبلغ رسالات ربه.

كما استدل أبو عبيدة على بشرية المسيح أيضا بما جاء في إنجيل يوحنا من أن المسيح عليه السلام كان ذات يوم يمشي في أسطوان سليمان عليه السلام فأحاطت به اليهود وقالت له: إلى متى تخفي أمرك إن كنت المسيح الذي ننتظره، فاعلمنا بذلك[1].

وأشير هنا إلى أن المسيح المنتظر عند اليهود دون خلاف بينهم هو بشر، يظهر ذلك من خلال تعقيب الخزرجي على النص قائلا:" ولا اختلاف عند اليهود أن الذي انتظروه هو إنسان نبي ليس بإنسان إله كما تزعمون"[2]، كما أشير إلى أن فكرة المسيح المنتظر عند اليهود يختلف من فرقة إلى أخرى بحيث لا تؤمن به جميع الفرق مثل الصدوقيين[3]، لكن الذين يؤمنون بالمسيح المنتظر من اليهود المعاصرين يرفضون قيام دولة إسرائيل لأن في اعتقادهم أن المسيح المنتظر هو من سيقوم بجمعهم في أرض الميعاد، وبالتالي فإن قيام دولة إسرائيل يعتبر في نظر هؤلاء مسألة مخالفة للعقائد اليهودية[4].

وأمام كل هذه النصوص القاطعة والدالة على بشرية عيسى عليه السلام نطرح السؤال التالي: لماذا يصر النصارى على تأليه المسيح؟.

يرى الدكتور خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي في كتابه "الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس""أن هذه المسألة لها جوانب كثيرة ومتعددة ولعل أهمها الجانب النفسي والمتمثل لدى النصارى في الركون إلى عادة تقليد الآباء في تأليههم للمسيح،

---

(1) نص إنجيل يوحنا:" **إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا. 25أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي"(يوحنا:10/ -24 25)**.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.130.

(3) نسبة إلى الكاهن صدوق الذي كان يتولى الكهانة في عهد سليمان، والصدوقية فرقة يهودية لا تؤمن بالبعث والآخرة والثواب والجزاء وقد عرف عنهم التساهل في الشرائع، وقد رفضوا كتب الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى عليه السلام، وقالو بأن التوراة هي المصدر الوحيد لليهود كما ينكرون التلمود أيضا. أنظر: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، ص.36.

(4) الجدل الديني في الأندلس، د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص179.

وذكر السيوطي أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك في آيات كثيرة ومتعددة، فكثير من النفوس لا تستسيغ فكرة الرسول المعصوم من بني البشر خاصة عندما يأتي بمعجزات لم يألفوها وهو ما حدث مع النبي صبى الله عليه وسلم حينما اعترض قومه على بعثة بشر ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ... ﴿٧﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[2]"[3].

مجمل القول إن الإمام الخزرجي- رحمه الله - في نفيه لألوهية المسيح عليه السلام استدل بنصوص من أناجيل النصارى المعتمدة (يوحنا- متى- مرقس...) سدا لأي اعتراض من القسيس القوطي أو من النصارى حول اعتماد الخزرجي لأناجيل غير موثوق فيها مثل أناجيل الأبوكريفا.وهذا إنما يدل على خبرة وتمرس الرجل بالكتاب المقدس والإلمام به، وبتاريخ الديانة النصرانية، وإلا فكيف يستطيع أن يكتب رسالة ضخمة في ظرف لا يتجاوز بضعة أيام فقط.

ب - المصادر الإسلامية:

بالإضافة إلى اعتماده على المصادر النصرانية في رده على عقيدة تأليه المسيح التي جاء بها القسيس القوطي، فقد استفاد الخزرجى كذلك من القرآن الكريم في تفنيده لشبهة القسيس من خلال مقارنته بين خلق آدم وخلق عيسى عليهما السلام، مبينا أن الله إذا كان قادرا على خلق آدم من تراب فما الذي يمنع من خلق عيسى من الدم المجتمع في رحم أمه عليهما السلام وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[4][5].

---

(1) سورة الفرقان، الآية:7.

(2) سورة الإسراء، الآية:94.

(3) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص.179 – 180.

(4) سورة آل عمران، الآية:59.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.126.

قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾[1].

واستدل الخزرجي أيضا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[2].

هكذا يتبين أن عيسى عليه السلام ليس إلها ولا ابن إله وإنما بشر ارتضاه الله أن يكون رسولَه في الأرض يأكل ويمشي كسائر البشر، وأن ما يدعيه النصارى من شبه حول تأليهه وتقديسه ما هي إلا صيحة في واد أو نفخة في رماد.

---

(1) سورة النساء،الآية:172.

(2) سورة المائدة، الآية، 116 - 117.

المطلب الثاني: عقيدة الصلب والفداء عند النصارى

يؤمن النصارى بأن المسيح عليه السلام جاء ليخلص البشرية من سوء ما اقترفته من خطايا بدءا من أكل آدم عليه السلام بشجرة الفردوس مرورا بخطايا أبنائه الذين توالوا بعده، ولم يسلموا بدورهم من ارتكاب معاصي كان لابد من أن يعاقبوا عليها، ودفعا لهذه الخطيئة أنزل الله ابنه المسيح"ليموت على الصليب ويطهر البشر من أغلال خطيئة أبيهم آدم، بل وخطاياهم جميعا"[1]، وقد اتخذ النصارى من ذلك الحدث عقيدة لهم يؤمنون بها ويجعلون منها أساس ديانتهم، بل أكثر من ذلك أنهم اعتبروا عقيدة الصلب La doctrine de la crucifixion "عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب"[2] وضمانا لاستمرارية هذه العقيدة اتخذوا الصليب شعارا مقدسا لهم، واعتبر حمله من قبل النصارى إعلانا عن تبعيتهم للمسيح باعتباره كان الأداة التي صلب عليها إلههم[3]، "ومجمل القول هو إن انتفاء الصلب انتفاء للمسيحية"[4].

ويتحدث أحد الأسقف عن مكانة المسيح المصلوب في قلوب النصارى قائلا:"إنه فدانا ومات نيابة عنا على نحو ما كان الحيوان البريء يذبح ويموت نيابة عن إنسان مذنب (...) فالمسيح بقبوله الموت على الصليب جعل نفسه بديلا عن الإنسان، ونقلت عقوبة الخطيئة ومسئولياتها التي على الإنسان ووضعت على رأس المسيح"[5] وهذا ما يعبر عنه سفر "إشعيا" قائلا: (**كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا**)[6].

---

(1) هل افتدانا المسيح على الصليب؟ د. منقذ بن محمود السقار، ص.7.

(2) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1989، ص.10.

(3) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ج2، ط 4، 1420هـ، ص.575.

(4) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ص.10.

(5) نيافة الأنبا يؤانس، الكنيسة المسيحية في عهد الرسل، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة،ط2، 1987م، ص.256 – 266.

(6) سفر إشعيا:53/ 6.

وبالرجوع إلى نصوص الأناجيل نجدها تؤكد صحة ما ذهب إليه النصارى من القول بعقيدة الصلب والفداء، من ذلك ما ورد في إنجيل "مرقس": (**وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**)"[1]

وفي إنجيل "يوحنا": (**لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**)[2].

وقال بولس: (**بِرُّ اللهِ بالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ**)[3].

وقال أيضا: (**فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ**)[4]

أمام هذا الكم الهائل من الاستشهادات والآراء التي تفيد بأن الصلب وقع على السيد المسيح من أجل تخليص أمته من براثين المعصية، نجد في مقابل ذلك رأيا آخر يذهب إلى القول بأن الصلب لم يكن من أجل السيد المسيح "إنما كان من أجل أن يصلب الإله"[5].

---

(1) إنجيل مرقس:10/ 44 – 45.
(2) إنجيل يوحنا:3/ 16.
(3) رسالة بولس إلى أهل رومية:3/ 22 – 25.
(4) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:15/ 3.
(5) ها افتدانا المسيح على الصليب، د. منقذ بن محمود السقار، ص.7.

الفرع الأول: شبهة القسيس القوطي في إثبات عقيدة الصلب

جاء في رسالة القسيس القوطي التي بعث بها إلى أبي عبيدة الخزرجي مانصها:"أما بعد فأحمد الله الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمينه، وخصنا بابنه، ومحبوبه، ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح إلهنا، الذي خلق السموات والأرض، وما بينهن، والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة، التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة، والتي نهى عنها، فخلصنا المسيح بدمه وفدانا بدمه ومن عذاب جهنم وقانا، أهرق دمه في مرضات جميع ولد آدم، إذ كان الذنب باقيا في أعناق جميعهم. فكلهم تخلص منه، إلا من كفر به وشك فيه"(1)

وبعدما قرأ أبو عبيدة الخزرجي فحوى رسالة القسيس القوطي والمتضمنة لعقيدة صلب المسيح، أخذ في مناقشة مضمون النص بمنهج، أفحم من خلاله القسيس القوطي معتمدا في ذلك منهجا يرتكز فيه على الأدلة العقلية والنقلية والتاريخية.

الفرع الثاني: المنهج العقلي في الرد على عقيدة الصلب

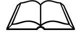
لقد ذكر الإمام الخزرجي – رحمه الله – أدلة عقلية استطاع من خلالها أن يلزم القسيس القوطي بعدم صلب المسيح عليه السلام نذكر منها ما يلي:

- الدليل الأول:

يقول أبو عبيدة الخزرجي مخاطبا القسيس القوطي:"ثم قلت: إنه لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذي كلمه، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد، وسقوط منزلة العبد، أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح عليه السلام"(2)، فالقسيس القوطي في كلامه هذا إنما أراد أن يوهم الخزرجي بعلو قدر الإله الذي جعله يتراجع عن معاقبة آدم عليه السلام لما لهذا الأخير من منزلة دنيا ولذلك جاء العقاب لما هو أفضل من آدم وهو عيسى عليه السلام المجسد للذات الإلهية، إلا أن رد أبي عبيدة الخزرجي على هذه الشبهة كان أقوى مما ذهب إليه القسيس حيث رأى أن الله "أولى

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.67.

(2) المصدر نفسه، ص. 163.



أن يعفو عن الذنب، ويتوب عن المذنب"[1]، ويرى أبو عبيدة الخزرجي بأن من غاية الظلم و الجور أن يعاقب الله إنسانا بذنب غيره[2] فالقسيس بهذه الشبهة نسب إلى الله كل ما ينسب إلى الأشرار من الحقد والغل، ونفى عنه ما يليق به سبحانه من صفات العفو والصفح[3].

وإذا ما رجعنا إلى كتاب **" الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام " لمؤلفه القرطبي** نجده يذكر الدليل نفسه ثم يعلق عليه قائلا:" مفهوم هذا الكلام: أن ذنب آدم كان في رقاب بنيه، إلى أن قتل عيسى، وانتقم منه، لأجل آدم، وحينئذ عفا عن آدم وبنيه"[4] فالقرطبي يبين أن ذنب آدم المقترف بسبب أكله من الشجرة ظل معلقا ورهينا بصلب المسيح، وهذا في حد ذاته تطاول على الإله الذي عجز عن عفوه عن آدم.

- الدليل الثاني:

يسأل أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القسيس القوطي قائلا:" أخبرني أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده في حقه، فبقي بعده مدة غاضبا عليه، ساكتا على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولدا، فعمد إلى قتله بذنب العبد الذي كان أذنب له"[5] ثم يضيف أبو عبيدة متسائلا:"ألست ترى ذلك من قتله ولده أنه أراد أن يشفي نفسه على ذلك العبد، فأصبح ذلك زائدا في كربه، وداعيا إلى دوام حزنه؟"[6]، وبهذا يكون القسيس القوطي قد نسب إلى الله صفتي العجز والظلم في الآن نفسه، حيث نسب إلى الله العجز والمتمثل في عدم قدرته تعالى على تخليص عباده من آثار الخطيئة التي ارتكبها آدم، حيث ضل منتظرا ولادة ابنه المسيح ليقتله تكفيرا عما اقترف آدم، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الله طوال هذه المدة التي انتظر فيها ولادة المسيح، ألم يكن قادرا على خلق المسيح وقت ماشاء إذا كان يرى في قتل المسيح صلاحا للأمة وتكفيرا عن خطاياها؟ وهو ما يتنافى عقلا ونقلا مع قدرة الإله الذي إذا أراد شيئا إنما يقول له "كن فيكون".

---

(1) المصدر نفسه، ص.163.
(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.163.
(3) المصدر نفسه، ص. 163.
(4) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام،القرطبي، ج4، ص.410.
(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 164.
(6) المرجع نفسه، ص.164.

- الدليل الثالث:

سأل أبو عبيدة الخزرجى القسيس القوطي سؤالا منطقيا أفحم به شبهته حول الصلب قائلا:"من كان الممسك للسموات والأرض، إذ[1] كان الله كما تزعمون مربوطا في خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكتين؟ أم كان استخلف عليهما غيره، وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟"[2]، ثم يضيف الخزرجي مبينا أن التوراة تنظر إلى المصلوب على أنه ملعون ويجب دفنه في الحال[3]، وجاء في التوراة:(وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا.)[4].

- الدليل الرابع:

يقول الخزرجى متحدثا عن شبهة النصارى حول قيام المسيح من القبر:"ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب[حادثة] الصلب، وأحاديثها الفاسدة، إذ قلتم: قام بعد ثلاثة أيام من القبر- ويضيف موضحا هذه الشبهة- وتحدثتم عن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطا وأقبلتا إلى القبر، وقالتا: من ينزع لنا الصخرة من على فم القبر، فزالت الصخرة من ذاتها، فنظرتا إلى فتى قاعد في الجانب الأيمن من القبر مغطى بثوب، وذلك في يوم الأحد قبل طلوع الشمس"[5][6]، وقد ذكر صاحب كتاب" عقيدة الصلب والفداء"

(1) خطأ مطبعي والصواب أن نقول"إذا كان الله...

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 168.

(3) المصدر نفسه، ص.168.

(4) سفر التثنية:21/ 22 - 23.

(5) القصة كما جاءت في إنجيل مرقس:" وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ. وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ فَتَطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا. وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ:"لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ ههُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ. لكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ"(مرقس:16/ 1 - 7).

(6) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.167 - 168.

هذه القصة وأفاض فيها، مبينا تناقضها وبطلانها وأنها مجرد دعوى شائعة من بولس ومريديه الذين حاولوا إقحامها في نصوص الكتاب المقدس[1].

الفرع الثالث: المنهج النقلي في إبطال عقيدة الصلب

لم يكتف أبو عبيدة الخزرجي في دحض عقيدة الصلب عند النصارى، بالاعتماد على المنهج العقلي فقط، بل فند هاته العقيدة بالاعتماد على أدلة نقلية، تؤكد على أن " نصوص الإنجيل والكتب النصرانية، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام، ووقوع الشبه على غيره"[2]، وقد ذكر أبو عبيدة الخزرجي مجموعة من الأدلة التي تثبت هذا التناقض نذكر منها:

الدليل الأول:

ذكر الخزرجي أنه قد" جاء في الإنجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود، فاعطوه خلا ممزوجا بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادى: إلهي ! إلهي ! لم خذلتني[3]؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوي أربعين يوما وليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعاما لستم تعرفونه"[4]

ويتعجب أبو عبيدة من هذا الكلام قائلا:" ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوما وأربعين ليلة، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد !"[5]، ويضيف الخزرجي مستنكرا لهذه الشبهة:"كيف يظهر- يقصد المسيح عليه السلام- الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد هذا لايفعله أدنى الناس، فكيف بخواص

---

(1) عقيدة الصلب والفداء، السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، (بدون طبعة)، ص.56.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.155.

(3) يشير أبو عبيدة الخزرجي إلى ما جاء في إنجيل مرقس على لسان عيسى عليه السلام:" **وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي**" (متى:27/ 46)، ولقد ذكر هذا النص في مواضع كثيرة من الإنجيل:أنظر: إنجيل مرقس:15/ 33، وإنجيل لوقا:23/ 44 – 46، وغير ذلك من المواضيع مع اختلاف اللفظ فقط.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 155.

(5) المرجع نفسه، ص.155.

الأنبياء؟ أو كيف بالرب تعالى، على ما تدعونه؟ فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره، وهو الذي شبه لكم"[1].

وإذا ما نظرنا إلى العلماء اللاحقين للخزرجي، نجد الإمام القرافي يذكر هذا الدليل ويعقب عليه بتعقيب شبيه بالذي ذكره الخزرجي مع تغيير طفيف جدا[2]، ولعل القرافي قد نقل كلام الخزرجي كما هو[3].

من خلال ما سبق نلاحظ أن الإمام الخزرجي في رده على شبهة القسيس القوطي، قد سلم بنصوص النصارى الدالة على أن المسيح عليه السلام كان يواصل الإمساك عن الطعام لمدة طويلة، كما يسلم لهم بأن المسيح قد أعطي شرابا مرا فلم يشربه، ثم يتخذ من كلامهم حجة عليهم، بحيث لا يمكن أن يكون الشخص المصلوب هو عيسى عليه السلام نفسه، الذي يعتبر نبيا بل أكثر من ذلك أنه إله، فلا يعقل أن يعجز الإله أمام خلقه.

الدليل الثاني:

يذكر أبو عبيدة قول المسيح عليه السلام: "إلهي ! إلهي ! لم خذلتني[4]؟"[5] ثم يعلق عليه قائلا: "هو كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك فيكون المصلوب غيره، ولا سيما وأنتم تقولون: إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك؟ مع روايتكم في توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت، كانو مستبشرين بلقاء ربهم، فلم يجزعوا من الموت ولم يهابوا مذاقه، ولم يعيبوه، مع أنهم عبيد الله، والمسيح بزعمكم ولد الله، ورب، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره"[6]، وفي

---

(1) المرجع نفسه، ص.155.

(2) الأجوبة الفاخرة الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، القرافي، ص. 80.

(3) لنا عودة للحديث عن منهج التأثير والتأثر فيما سيأتي من مباحث إنشاء الله.

(4) أنظر: "(متى:27/ 46)، (مرقس:15/ 33)، (لوقا:23/ 44 - 46)، وغيرها من المواضيع الكثيرة التي ذكر فيها نفس الكلام، مع اختلاف اللفظ فقط.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 156.

(6) المرجع السابق، ص. 156.

الإطار نفسه يتساءل الشيخ أحمد ديدات" من ذا الذي كان يسوع ينادي عليه لكي ينقذه؟ هل كان ينادي نفسه لينقذ نفسه؟ - ثم يضيف الشيخ ديدات - لو كان عيسى إلها فكيف إذا ترك اليهود والرومان يفعلون به ما فعلوه؟ إلى من كان يضرع؟ إنه كان يضرع إلى الله"[1].

وفي الأخير يمكن حصر دليل الخزرجى على عدم صلب المسيح في العناصر التالية:

- قول المسيح" إلهي إلهي لم خذلتني" دليل واضح على عدم رضا المسيح عليه السلام بقضاء الله وقدره، وهذا لا يليق بنبي، ثم إنه كيف يعقل أن يطلب المسيح باعتباره إلها
- على حد قول النصارى- العون من إله آخر؟ ثم إذا كان المسيح إلها هل سيصل به الأمر إلى درجة التعذيب والتنكيل من قبل خلقهم ؟.
- قول النصارى" إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه" مخالف تماما مع قول المسيح"...إلهي لم خذلتني"، وهذا يقودنا إلى القول بأن المصلوب كان إنسانا عاديا، ثم إنه ليس نبيا أيضا، حيث أثر عن الأنبياء والرسل أنهم، كانوا يفرحون بلقاء الله ولا يهابون من الموت أبدا.

ولم يكتف الإمام الخزرجي في رده على عقيدة الصلب عند هذه الأدلة فحسب بل استمر في سرد الأدلة من نصوص أناجيلهم والتي تبين وقوع شبه عيسى عليه السلام على غيره وصلبه.

وقد ذكر هذا الدليل تقي الدين الجعفري وزاد فيه، يقول:" زعمتم أنه قال على الصليب:" إلهي إلهي كيف تركتني وخذلتني". وقال أيضا"إن كان يحسن صرف هذا الكأس عني فاصرفها. ثم يقول معلقا على هذا الافتراء:"فلزم بمقتضى قولكم أنه قد تطير بهذا الفضل والحكمة، والتمس البقيا وترك هذا الفضل. وذلك فيما زعمتم سفه يناقض الحكمة"[2]

(1) مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروق بقاعة ألبرت بلندن، علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة،(بدون طبعة) ص.120.

(2) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تقي الدين الجعفري، ص.110 - 111.

- الدليل الثالث:

يقول الخزرجي:" ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم، يعظمهم ويعلمهم، ويناظرهم، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتى كانوا هم يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟ أليست أمه مريم؟ أليس أخواه عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟

وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فلم نص الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه، حتى دفعوا لأحد تلاميذه - وهو يهوذا- ثلاثين درهما ليدلهم عليه، فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان، ومعه جماعة من اليهود، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ المذكور: الذي أُقَبِّلُهُ هو مطلوبكم فامسكوه. فلما جاء قال: السلام عليك، ثم قبله، فقال له يسوع: لماذا جئـت يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه، وتركه التلاميذ كلهم وهربوا، وتبعه بطرس من بعيد، فقال له رئيس الكهنة: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا، هل أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذلك، وإني أقول لكم: إنكم من الآن لن تروا ابن الإنسان، حتى تروه جالسا عن يمين القوة، آتيا في سحاب السماء [1] "[2].

يقول الخزرجي:" فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة، والمجادلات البليغة، كلها تدل على وقع الشبه قطعا"[3].

وهذا دليل قاطع لا مراء فيه على أن اليهود لم تكن تعرف المسيح عليه السلام بشهادة كتبهم، وقد استند الخزرجي في إثبات قوله إلى آيات من القرآن الكريم والتي تفند هذه

---

(1) أنظر نص الإنجيل:" **وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَة وَقَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ**"(متى:26/ 63 - 64).

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 158.

(3) المصدر نفسه، ص 158.

الشبهة من ذلك قوله تعالى: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ... ۝١٥٨﴾[1] وقوله عز وجل ﴿...وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ... ۝١٥٧﴾[2].

من خلال ما سبق يتضح جليا تناقض الأناجيل وتباينها، بحيث لا يعقل أن ينطق كتاب منزل من عند الله بحقائق مختلفة في الحدث نفسه.

- الدليل الرابع:

يقول أبو عبيدة الخزرجي:" في الإنجيل، أنه أخذ في حندس[3] من ليل مظلم من بستان، فشوهت صورته، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال، ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه، فمن أين لكم، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة؟ بل إنما حصل الظن والتخمين"[4].

- الدليل الخامس:

يقول أبو عبيدة الخزرجي: "نص في الإنجيل الذي بأيديكم، أن "يهوذا الإسخريوطي "[5] أدركته الندامة حينئذ، [وأعاد] لهم الثلاثين درهما التي كان باعه بها[6]، إذ أعلمهم أنه ليس هو ذلك [المقبوض عليه]"[7].

---

(1) سورة النساء، الآية: 157 – 158.

(2) سورة النساء، الآية: 157، ينظر: بين الإسلام والمسيحية، ص.158 – 159.

(3) الحندس هي الظلمة والليل الشديد الظالمة، ويقال: أسود حندس: شديد السواد وجمعها حنادس، وهي ثلاث ليال في آخر الشهر، أنظر: المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/ 2004م، ص.202.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 158.

(5) يسمى سمعان بن يونا، وهو رسول المسيح، ولد في بيت صيدا نحو العام 10 ق م، وتوفي في روما عام 64، وقد سماه المسيح "كيفا" ومعناه "الصخرة" وترجمتها باللاتينية بيتروس (بطرس) واختاره رئيسا للكنيسة وهي في مهدها (أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي)، ينظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1411هـ/ 1991م، الطبعة الثانية، ص.490

(6) أنظر نص الإنجيل:" **حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلاً: قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا. فَقَالُوا: مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! 5 فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ. فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ وَقَالُوا: لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَم**"(متى:67/ 3 – 6).

(7) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 152.

ويضيف الخزرجي أن يهوذا الإسخريوطي قد أدركته الندامة لما أعان اليهود على قبض المسيح فخنق نفسه[1]، وهذا القول منصوص عليه في إنجيل متى(**ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ**)[2].

وبعد أن ذكر الخزرجي هذه النصوص من أناجيلهم، بين أنها ليست قطعية الدلالة والثبوت في كون المصلوب هو عيسى عليه السلام بناء على الاحتمالات التالية:

- إما أن يكون يهوذا الإسخريوطي لم يدل على المسيح.
- وإما أن يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق[3].
- أو يكون كتاب النصارى واليهود قد تبدل وتحرف[4].

(1) المرجع السابق، ص.155.

(2) متى:27/ 5.

(3) إشارة إلى ما جاء في إنجيل متى" **فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟ حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ**"(متى:26/ 50).

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.159.

الفرع الرابع: المنهج التاريخي[1] في إبطال عقيدة الصلب عند النصارى

بالإضافة إلى اعتماده على المنهجين العقلي والنقلي في إبطال عقيدة صلب المسيح، لجأ الخزرجي إلى سرد شواهد تاريخية تؤكد أن الشخص المصلوب لم يكن معروفا لدى اليهود الذين ادعوا صلبه، بل فقط كانوا يزعمون أن في بعض ما وجد من تاريخهم أن رجلا كان من اليهود قد هم بنسخ حكم التوراة وتأويله والانفراد به، فقرر اليهود صلبه وعمدوا إلى الظفر بواحد من الرجال الذي كانوا في نفر يسير اعتقدوا أنه المطلوب فصلبوه[2].

أمام هذا الغموض الحاصل في التاريخ اليهودي حول عدم تحديد الشخص المصلوب بعينه، تبقى مسألة صلب المسيح التي يؤمن بها النصارى غامضة في غياب المصادر اليهودية الأصلية التي تثبت هوية الشخص المصلوب.

---

(1) هو مجموعة الطرق والتقنيات التي يتبعها الباحث والمؤرخ من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي وكل وقائعه وزواياه في إطار علمي دقيق ومنظم، أنظر: المنهج التاريخي .homeeconomics.netgoo.or

(2) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 161.

المطلب الثالث: عقيدة التثليث عند النصارى

إذا كانت عقيدتا الألوهية والصلب عند النصارى تعتبران جزءا لا يتجزأ من الديانة النصرانية، فإن عقيدة التثليث la doctrine de la Trinité تعد هي الأخرى حلقة أساسية في سلسلة باقي عقائد النصارى، بحيث لا يستقيم إيمان المرء إلا بالإيمان بها،" فمعرفتها هي معرفة الله والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله.."[1].

هذا القالب الثلاثي المختزل في: الأب والابن والروح القدس، أو ما يطلق عليه بالأقانيم[2] الثلاث، "ليست مجرد أسماء تطلق على الله، أو مجرد صفات ينعت بها، بل ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور بلاهوت واحد جوهر[3] ذات واحدة"[4].

يفهم من هذا القول إن هذه الأقانيم الثلاث لا تعبر عن تعدد الآلهة، بحيث لا نستطيع القول إن الأب إله والابن إله والروح القدس إله، وإنما هي ثلاثة أقانيم[5] في أقنوم واحد، فهي تعتبر أعماقا إلهية، وأسرارا سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها

(1) مرجان، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، د. محمد مجدي، ط2، 2004م، ص.11.

(2) اختلف العلماء في أصل الكلمة منهم من قال بأنها من أصل سرياني، و يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه، ويراد بها التعيين، يراجع: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 68، ومنهم من ذهب إلى القول بأن لفظة أقنوم من أصل يوناني، وتعني: الشخص، أنظر: نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم، عز الدين عناية، دار توبقال للنشر،ط1، 2010م، ص.195.

(3) الجوهر هو: هو الذي يستغني في وجوده عن وجود شئ آخر يكون موجودا فيه، كالجسم الذي لايحتاج إلى شئ آخر يوجد فيه، وبعبارة أدق: هو القائم بذاته لابغيره، ينظر:مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة،القس شمس الرئاسة أبو البركات، المعروف بـ ابن كبر، مكتبة الكاروز، ج1، (بدون طبعة)، ص.9.

(4) يس منصور، مطبعة الإسكندرية، 1963، الطبعة الثانية، ص. 156.

(5) فالأب: أقنوم أول وهو والد الأقنوم الثاني، وهو مكون الكائنات.والإبن: هو الأقنوم الثاني، وهو ولد الأقنوم الأول، وهو المخلص من الخطية.ثم أخيرا الروح القدس: وهوالأقنوم الثالث، ويصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، وهو معطي الحياة.أنظر: المسيح والتثليث، الدكتور: محمد وصفي، تقديم الكاتب الإسلامي الكبير: محمد عبد الله السمان، مراجعة: علي الجواهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د.ت) ص.105

وتحليلها، أو نلصق بها أفكارا من عندياتنا.."[1]، كما لا يمكننا نفي الأقانيم الثلاثة، فهي- كما يقول القمص إبراهيم إبراهيم:" لايصح مطلقا نفي التثليث، فبانتفائه تنتفي أنت، إذ هو أنموذجك ومصدر صفاتك الذاتية، الثلاثية الذات والنطق والحياة وأثارها غير مفقودة، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود... بنفي الأقانيم الثلاث الإلهية.."[2].

وإذا كان القمص إبراهيم يجعل من نفي الأقانيم أمرا مستحيلا، فإن فكرة الثلاثة تساوي واحد(1+1+1=1)، لا يستسيغها العقل أبد الدهر، علما أن القاعدة التي أسست لهذه العملية تحيلنا على النتيجة:(1+1+1=3)؟ وإن فرضنا أن عقولنا قاصرة عن استيعاب هذه المعادلة الحسابية التي يؤمن بها النصارى، فلماذا عجزوا عن تقديم الجواب الشافي عن هذه الإشكالية واقتصر جوابهم على القول بأن" هذه العقيدة صعب فهمها، وهي فوق طاقة كل العقول"[3]؟

الفرع الأول: شبهة القسيس في إثبات عقيدة التثليث

استهل القسيس القوطي رسالته بقوله:" باسم الأب، والإبن، والروح القدس، إله واحد"[4].

وقال في موضع آخر:"إن المسيح ابن الله والروح القدس، ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد[5]" [6].

---

(1) الله واحد أم ثالوث، مرجان، ص.10.
(2) المرجع نفسه، ص. 10.
(3) الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، مسعد عبد السلام عبد الخالق، ص.610.
(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 62.
(5) المصدر نفسه، ص. 68 - 69.
(6) هذا كل ما ورد عن القسيس القوطي في مسألة التثليث، فجاء رد الخزرجي عليها وفق ما ورد في الرسالة، لذلك لم يولها الخزرجي كبير اهتمام، عكس ما أولاه من اهتمام بباقي العقائد الأخرى، واقتصر في تناوله لهذه العقيدة على المنهج العقلي فقط، باعتبار أن جل الأدلة التي ذكرها القسيس القوطي تتنافى والعقل البشري.

الفرع الثاني: المنهج العقلي في الرد على عقيدة التثليث

في نقده لعقيدة التثليث عند القسيس القوطي سلك الخزرجي منهجا علميا دقيقا اعتمد فيه على مايلي:

- فرض أسئلة يمكن أن يعترض بها القسيس القوطي وإلزامه بالإجابة عنها: ومن ذلك قوله:" فإن قلتم: إن نصفه هو إله تام، والنصف الآخر ليس بإله، فيلزمكم- إذا دعوتموه- [أن تقولوا]: يا نصف المسيح ! إرحمنا، وإذا قيل لكم: من إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح[1] وبعد ذلك يساءل الخزرجي القسيس قائلا:" وكيف يكون نصفه خالقا، ونصفه معبودا لنصفه، وليس بإله تام؟"[2]، والأمر نفسه نجده عند نظيره ابن حزم الذي جادل النصارى حول طبيعة المسيح المعبود لديهم أهو لاهوت أم ناسوت، وفي كلتا الحالتين يرى ابن حزم أن الاحتمال احتمالين اثنين لا ثالث لهما،" فإن قالوا: نعبدهما جميعا أقرروا بأنهم يعبدون إنسانا وحجابا مخلوقا مع الله تعالى، وهذا أقبح ما يكون من الشرك، وإن قالوا: بل نعبد اللاهوت وحده قيل لهم فإنما تعبدون نصف المسيح لا كله لأنه طبيعتان عندكم، ولستم تعبدون إلا إحداهما دون الأخرى"[3].

- اتخاذ الخزرجي من كلام القسيس القوطي دليلا على بطلان عقيدة التثليث: لقد حاول أبو عبيدة الخزرجي - في حديثه عن التثليث عند النصارى- التعرف عن علاقة الأقانيم الثلاثة فيما بينها متخذا من كلام النصارى حجة على بطلان التثليث، من ذلك قوله:" ثم اتفقتم أن أقانيم الأب، والإبن، والروح القدس غير مختلفة، بل هي أقنوم واحد. فإذا كان هذا الأب هو الإبن، وهما روح القدس، الكل شئ واحد، وهذا توحيد، فلم خصصتم المسيح بالإبن؟، ولم تقولون: إنه الأب؟. وقد قلتم إن الأب، والابن والروح القدس شئ واحد؟"[4]

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 169.
(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.169.
(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص.128.
(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.170.

من خلال ما سبق، يتضح أن أبا عبيدة في رده على القسيس القوطي قد سلك منهج ابن حزم في مناقشته لعقيدة التثليث لدى النصارى عند مساءلتهم في كتابه" الفصل في الملل والأهواء والنحل" قائلا:" فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبا والثاني ابنا والثالث روح القدس، وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منهما هو الآخر، فالأب هو الإبن والإبن هو الأب وهما روح القدس، وليس روح القدس سواهما وهذا هو عين التخليط"[1]

وفي سياق حديثه عن عقيدة التثليث ومحاولة إبطالها، ألزم الخزرجي القسيس القوطي القول بمسألة التربيع من خلال قوله:" قلتم إن الأب، والابن والروح القدس شئ واحد؟ثم جعلتم جوهر البدن شيئا معبودا ليس من الثلاثة، فهؤلاء إذن أربعة، وقد بطل التثليث، وصار تربيعا، فإن أبيتم إلا ثلاثا فقد جعلتم نفي العبد وإثباته سواء، وكابرتم العقول"[2]، والمسألة نفسها أدرجها ابن حزم حين ألزم النصارى القول بالتربيع قائلا:" ويقال لهم: الكلمة هي الأب، أو الإبن أو روح القدس؟ أم شئ رابع؟ فإن قالوا: شئ رابع، فقد خرجوا عن التثليث إلى التربيع"[3]

مجمل القول: إن الإمام الخزرجي في تناوله لعقيدة التثليث، لم يقتصر على ظاهر النص فقط، وإنما حاول سبر أغوار الكلم بحيث تناول عقيدة التثليث بمنهج عقلي مستفيض جعله يتغاضى عن أدلة نصوص الإنجيل لما فيها من تناقض، مكتفيا في ذلك بمناقشة مضامين رسالة القسيس القوطي مناقشة علمية عقلية.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج1، ص.112.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 170 – 171.

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ص.119.

المبحث الرابع: شبهات النصارى[1] حول الإسلام وموقف الخزرجي منها

دأب النصارى إلى إثارة شبهات حول الإسلام، محاولين في ذلك تشكيك المسلمين في دينهم من خلال التركيز على قضايا عقدية حساسة، من قبيل التشكيك في مصدرية الإسلام والطعن في النبي محمد ﷺ، وهذا في حد ذاته طعن في السنة النبوية الشريفة.

كما حاولوا إثارة شبه حول القرآن الكريم مدعين في ذلك أنه أيد كثيرا من معتقاداتهم من قبيل ما جاء به القسيس القوطي في حديثه عن ألوهية المسيح، مدعيا أن القرآن الكريم قد أيدها قائلا: "ألم تسمع ما في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتك: أنه روح الله وكلمته، وأنه كان وجيها في الدنيا والآخرة، ومن المقربين"[2]، وهو في ذلك يشير إلى ما جاء في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿...إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴿١٧١﴾﴾[3] وقوله أيضا في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾[4].

وسيأتي الحديث عن هذه الشبهة باستفاضة أثناء دراستنا لبعض شبهات القسيس القوطي حول الإسلام فيما سيأتي من مطالب.

---

(1) ملاحظة: أشير هنا إلى أني سأقوم بنقل النصوص كما هي دون التصرف فيها، حتى تفي بغرض عرض الشبهة والرد عليها، ليرد بعدها التعليق وذكر بعض أقوال العلماء فيها.

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.68.

(3) سورة النساء، الآية: 171.

(4) سورة آل عمران، الآية: 45.

المطلب الأول: شبهة انتشار الإسلام بالسيف

جاء في رسالة القسيس القوطي إلى أبي عبيدة الخزرجي قوله:" ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف، والقهر في الأرض، وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم، وكان سببا في تغيير أمرنا وتكفيرنا، وفي كتابه:(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) ودخلت العرب بلادنا، واستأصلت ديارنا، وهتكت أستارنا لكنه لما آمن بالله، ودعا إلى الله، أعانه الله، فقاتل جميع الأمم فغلبهم بسيفه، وإنما جاء المسيح بن مريم مهيمنا ضعيفا، ولم يقاتل أحدا"[1].

وقد رد الخزرجي على هذه الشبهة مفندا إياها بأدلة تاريخية، مبينا أن دين النصارى إنما كان قائما على القتل والسفك في حق اليهود من ذلك قوله:"قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود، وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان"[2].

كما عمد أبو عبيدة إلى سرد أدلة نقلية من نصوص أناجيلهم تثبت أن أصل دين النصارى إنما كان قائما على المسالمة ونبذ الالتجاء إلى العنف والقتل، يقول الخزرجي:" ها هو ذا إنجيلكم – بين أيديكم– مصرح كما قلت بالمسالمة، والتزام التواضع والمذلة:(لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا)[3] ثم ذكر الخزرجي نصا آخر من إنجيل "متى" يدعو إلى المسالمة ونبذ القتال والمنازعة إلى أن تقوم الساعة، يقول:(ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين، ومن سألك فاعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده... أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)[4]، لكن النصارى حاذوا عن ذلك وسلكوا طريق العنف والقتل فسفكوا ونهبوا أقطار العالم، ضاربين بذلك نصوص الأناجيل عرض الحائط، جاعلين القتل عندهم

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.116 – 113.

(2) المرجع نفسه، ص.265.

(3) ينظر: إنجيل متى:5/ 39.

(4) إنجيل متى:5/ 40 – 44.

من أوثق أسباب السعادات المقربة إلى الله على الرغم من تحريم نصوص الأناجيل ذلك[1]، و ذكر محمد الغزالي في كتابه "التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية" بعض ما عانى منه اليهود جراء اضطهادهم من قبل النصارى "منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية- في عهد **قسطنطين**[2]- دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب في الأغلال، وعانى من قسوته اليهود والوثنيون كثيرا(...) وقد حاول قسطنطين أن يضع حدا لشرورهم، فأصدر قانونا يقضي بإحراق كل يهودي يلقي على من اعتنق المسيحية حجرا، وعقاب كل مسيحي تهود، ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودي بمسيحية أعدم(...) مستندا في ذلك إلى كلمات فاه بها المسيح"[3].

ثم بين أبو عبيدة الخزرجي أن النصارى إذا كانوا يعيبون على الإسلام مسألة انتشاره بالسيف، فإنهم بذلك يعيبون على موسى بن عمران، **ويوشع بن نون**، ومن قبلهما، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قتالهم الأمم الطاغية ببلادهم، كما تصرح بذلك كتب النصارى، فقد قاتل داود جالوت وسليمان عليه السلام[4] مع طوائف الكفر، ومع ذلك لم يكن ذلك قدحا في صحة أديانهم[5].

وبالرجوع إلى الإمام القرطبي في كتابه القيم "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" نجده قد اقتفى أثر الخزرجي في دحضه لهذه الشبهة، مبينا أن القتال عند المسلمين سنة من سبقهم من الأنبياء والرسل، وأن ما يعيبه النصارى على المسلمين من شريعة القتال، هو مبثوث في كتبهم، ثم يذكر ما ورد في الإنجيل على لسان عيسى:(لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لإصلاحهم، لكن لألقي المحاربة بينهم، إنما قدمت لأفرق

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.166 – 167.

(2) الإمبراطور الروماني الذي حكم بداية من عام 306 وحتى 337 ميلاديًا، ويعرف بقسطنطين الكبير، ينظر: قسطنطين http: //ar.wikipedia.org.

(3) التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 2005، ص.83.

(4) جاء في التوراة:" **وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ**"(**سفر الملوك الأول**:4/ 21).

(5) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، ص.166.

بين المرء وابنه والمرأة وابنتها، وأعداء المرء أهل بيته[1])[2].

من خلال ما سبق، نلاحظ أن الإمام القرطبي- رحمه الله- في دليله هذا قد ألزم النصارى بأمرين أثنين:

- إما أن يعترفوا بأن قتال الأعداء جائز شرعا، فلا يذموا شرع الإسلام.
- وإما أن يعترفوا بأنه غير جائز، فيلزمهم التناقض والسفه والخروج عن شريعة المسيح[3].

هذا وقد ذكر هذه الشبهة وفندها الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه"إظهار الحق" حيث أفاض فيها واستفاض بما لا يدع مجالا للنقاش[4].

وحتى تكون دراستنا لهذه الشبهة دراسة علمية غير أحادية الجانب، نسرد شهادات لعلماء ومؤرخين نصارى عاصروا العرب، فكتبوا عن غزواتهم وطرقها، وعن علاقات المسلمين بغيرهم من أهل الذمة، من ذلك:

قول المؤرخ الإنجليزي السير توماس.و. أرلوند Sir Thomas W.Arlond في كتابه الشهير" الدعوة إلى الإسلام": "القبائل المسيحية التي اعتنقت الإِسلام، إِنما فعلت ذلك عن اختيار وإِرادة حرة، وإِن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"[5].

وتقول المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** في كتابها" **شمس العرب تستطع من الغرب**":"لإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون

(1) أنظر نص الإِنجيل:" **لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ**" (متى:10/ 34 - 36).

(2) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص.452.

(3) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص.452.

(4) ينظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ج2، ص.289 - 298.

(5) الدعوة إلى الإسلام(بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، السير توماس.و. أرلوند Sir Thomas W.Arlond، ترجمة وتعليق: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1947، ص. 52 - 53.

والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى"[1].

ولهذا فإن ما قام به المسلمون من امتثالهم لشريعة القتال التي أوجبها الله عليهم، إنما هو إتمام لما كان عليه الأنبياء السابقين والسلف الصالح وليس بدعا من الزمن كما يدعي النصارى. ثم يواصل أبو عبيدة في سرد أدلة من أناجيل النصارى التي أخبرت أن النبي ﷺ سيأتي بالسيف لمحاربة المشركين العرب وقتل أشرافهم في بدر، ثم يستدل بنص من إنجيل إشعيا الذي يقول:"يدوسون الأمم كدوس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون من أيد بها سيوف مسلولة، وقسى موتورة من شدة الملحمة [2] "[3].

وبعدما ذكر الخزرجى حقيقة القتال عند المسلمين على أنه شريعة سماوية نص القرآن الكريم عليها كما نصت عليه باقي الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل، خلص إلى وضع مقارنة بين ما أثر عن النبي ﷺ من صفات أثناء الجهاد، وبين ما تناقلته كتب اليهود والنصارى من صفات المسيح (الإله)، فخرج بنتيجة تؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتسم بصفات من القوة والشجاعة، حتى في أحلك المواقف التي تصعب فيها النجاة من العدو، غير أنه كان عليه السلام دائما قويا ومؤمنا بقضاء الله وقدره، بخلاف ما أثر عن المسيح عند النصارى، ففي كثير من المواقف كان يجزع ويضعف أمام العدو، من ذلك ما جاء به إنجيل "متى"" أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه صاح:(جزعت نفسي

---

(1) شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبة)، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون و كمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت،ط1، 1413هـ/ 1993م، ص.364

(2) ينظر: نص الإنجيل:" **أُنْصُتِي إِلَيَّ أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ وَلْتُجَدِّدِ الْقَبَائِلُ قُوَّةً. لِيَقْتَرِبُوا ثُمَّ يَتَكَلَّمُوا. لِنَتَقَدَّمْ مَعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. مَنْ أَنْهَضَ مِنَ الْمَشْرِقِ الَّذِي يُلاَقِيهِ النَّصْرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ؟ دَفَعَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَعَلَى مُلُوكٍ سَلَّطَهُ. جَعَلَهُمْ كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ، وَكَالْقَشِّ الْمُنْذَرِي بِقَوْسِهِ. طَرَدَهُمْ. مَرَّ سَالِمًا فِي طَرِيقٍ لَمْ يَسْلُكْهُ بِرِجْلَيْهِ"(إشعيا:41/ 1- 3)**.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.269.

الآن فماذا تقول يا أبتاه، فسلمني من هذا الوقت[1](...) وأنه حين أخذ كان القواد يقولون له:(هل أنت المسيح ابن الله؟ فيقول لهم"أنتم تقولون: أني هو [2]!)[3] وهي إشارة على أن المسيح عند النصارى كان يتصف بالجزع والخوف والوهن وغيرها من صفات الضعف التي تستحيل في حق الأنبياء والرسل الذين جعلهم الله أسوة لغيرهم.

وفي الأخير يمكن القول: إن ما تعرض إليه الإسلام من تهم باطلة عن كونه انتشر بحد السيف وفصل الرقاب من على أعناقها، ومن تشويه لسيرته وتاريخه المؤيد بالوحي والتوجيه الإلهيين، إنما ينم عن أحد أمرين:

* إما عن جهل من قبلهم بتاريخ الدين الإسلامي.

* وإما عن حقد دفين يكبر بداخلهم كلما كبرت رقعة الإسلام واتسعت.

(1) ينظر: نص الإنجيل:" فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي" (متى:26/ 38).

(2) نص الإنجيل:" وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ!.." (متى:26/ 63 – 64).
وقال في موضع آخر:" فَقَالَ الْجَمِيعُ: أَفَأَنْتَ ابْنُ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ" (لوقا:22/ 70).

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.168 – 169.

المطلب الثاني: شبهة وجود متناقضات في القرآن الكريم

ذكر القسيس القوطي أن القرآن الكريم اشتمل على آيات فيها أخطاء، من ذلك"قوله عن مريم أم المسيح: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ... ﴿١٢﴾﴾[1]، وقال عنها في موضع آخر: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[2]، وليست أم المسيح بأخت هارون، ولا بابنة عمران، وإنما اسم أبيها يؤاخيم- يعقيم- فتوهمتم أنها ابنة عمران، التي كانت أخت موسى وهارون"[3].

لم يستسغ أبو عبيدة الخزرجي فكرة أن يكون أبو مريم غير عمران، وعمل على إثبات ذلك بدفع الشبهة عن القرآن الكريم من خلال البحث في نسب عمران المقصود في الآية الكريمة، بقوله:" فمن أين نسب إلينا اعتقاد أم المسيح أختا لموسى وهارون؟ وما عندنا ريب في أن أم المسيح إنما هي ابنة عمران، بن متان، بن أليود، بن أخيم بن صادوق، بن عازور، بن الياقيم، بن أبيهود، بن زربابل، بن شألتئيل، بن يكنيا، بن يوشيا، بن آمون، بن منسي، بن حزقيا، بن أحاز،..... بن يهوذا، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم عليهم السلام[4].

والشبهة نفسها تناولها القرافي- رحمه الله- من زاويتين:

* زاوية رد فيها الشبهة على أصحابها بإثبات أن مريم ابنة عمران، وعمران المذكور في الآية السالفة الذكر ليس هو أبو موسى عليه السلام كما زعم النصارى، وتشابه الأسماء لا يلزم بالضرورة أن المسمى بها واحد.

* ومن زاوية ثانية أشار إلى أنه حتى لو تم التسليم بما ورد عنهم وأن عمران المقصود هو أبو موسى، فإن مريم بهذا الشكل قد نسبت إلى جدها، واستدل على ذلك بنسبة بني إسرائيل إلى يعقوب عليه السلام، وبهذا ينتفي الخطأ من خلال الزاويتين معا عن القرآن الكريم[5].

---

(1) سورة التحريم، الآية:12.

(2) سورة مريم، الآية: 28.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.90.

(4) المرجع السابق، ص.243.

(5) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص.87.

* وأما قول القسيس بأن مريم أم المسيح ليست بأخت هارون عليه السلام، بناء على ما جاء في الآيــة الكريمة: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾[1]، فقد ردها عليه الخزرجى مثبتا أن هارون المقصود في الآية ليس هو هارون أخ موسى عليهما السلام، وإنما هو رجل عرف ببغائه وعهره، فنسب اليهود مريم إليه بعدما اتهموها بالبغاء عند ولادتها للمسيح عليه السلام. يقول الخزرجى موضحا هذا الأمر:"فإن قولهم ذلك إنما هو على وجه السب لها، لأن هارون هذا عنوا به رجلا عاهرا كان عندهم يستكثر من البغايا، وعظيم الشهرة عندهم في ذلك الزمان يسمى هارون، وأما أن يكون هارون في هذه الآية كما زعمتم، فهذا غاية الجهل، لأن الذي بينهما من الزمان ألف وخمسمائة سنة، فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا"[2]، وهي الشبهة التي رد عليها أيضا الإمام القرافي، إلا أنه إلى جانب ذكره لهارون الفاسق الوارد عند الخزرجى، ذكر هارون آخر صالحا عرف بعبادته، فنسب اليهود مريم إليه مذكرين إياها بما كانت عليه من صلاح وعبادة، مستنكرين ما أقدمت عليه بولادتها للمسيح من غير أب. يقول القرافي:" روي أنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت(رضي الله عنها) في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى(عليه السلام) من غير زواج، واتهمها(رضي الله عنها) بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها:

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أي في العبادة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾[3]، متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، وأصل الأخوة التساوي في الصفة، ومنه قوله تعالى ﴿...كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ... ٣٨﴾[4] أي مساويها في الكفر(...) وقيل كان في ذلك الزمان فاسق يسمى هارون فلما اعتقدوا فيها التهمة جعلوها أخته أي في ذلك الفعل القبيح"[5]، وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه محقق كتاب"بين الإسلام والمسيحية" في هامش الصفحة، حيث أدرج قولا للجلال المحلي في تفسيره لسورة مريم، مفاده أن هارون

(1) سورة مريم، الآية:28.
(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.244.
(3) سورة مريم، الآية:28.
(4) سورة الأعراف، الآية:38.
(5) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص.87 – 88.

المقصود كان رجلا صالحا لا فاسقا[1]، وذهب سليمان القوي الطوفي(ت:716) إلى القول بأن هارون الوارد في الآية إنما كان رجلا صالحا ولهذا سمي باسم هارون عليه السلام، ومن هنا جاء قولهم لمريم: يا شبيهة هارون في الصلاح، كيف يصدر عنك هذا الفعل القبيح؟[2]، ولعل هذا الأمر هو الراجح، والمقصود بهارون ليس هارون أخو موسى ولا هارون الفاسق، وإنما هارون الصالح لما يقتضيه مقام القرآن من ضرورة المدح لا الذم.



(1) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.244.

(2) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي دراسة وتحقيق: د. سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419هـ/ 1999م، ج1، ص.303.

المطلب الثالث: شبهة إنكار نعيم الجنة

اعترض القسيس القوطي على ما يؤمن به المسلمون من نعيم الجنة من أكل وشرب ونكاح...إلخ، مستنكرا وقوع ذلك يوم القيامة بدعوى أننا سنحشر بأجسادنا وأنفسنا دون أكل وشرب.يقول القسيس مخاطبا الخزرجي القرطبي:"وأنتم تقولون إن في الجنة أكلا وشربا ونكاحا، وجميع ذلك عندكم في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم، ونحن ننكر جميع ذلك، ولا يمكن بوجه من الوجوه وقوعه عندنا، ذلك أننا إذا حشرنا يوم القيامة، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا، ولكن لا نأكل هناك ولا نشرب"[1].

وقد جاء رد أبي عبيدة الخزرجى على هذه الرسالة معتمدا في ذلك جهتي النقل والعقل، فمن جهة النقل ذكر أبو عبيدة مجموعة من نصوص أناجيلهم التي تثبت نعيم الجنة، من ذلك:

ذكر الخزرجى قصة من إنجيل لوقا على لسان المسيح حول رجل كان فقيرا في الدنيا يدعى ليعازر"كان مطروحا على باب الغني، والكلاب تلحس قروحه، وإن ذلك الغني نظر إليه في الجنة متكئا على حجر إبراهيم الخليل، فناداه الغني وهو في النار: يا إبراهيم ! إبعث "لعازر" إلي بشئ من ماء أبل به لساني[2]" [3].

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.105 – 106.

(2) ذكرت هذه القصة في الإنجيل على النحو التالي:" كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ = الْعُبُورَ مِنْ ههُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذًا، يَا أَبَتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. فَقَالَ: لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ" (لوقا:16/ 19 – 31).

(3) بين الإسلام والمسيحية، ص.263.

* قوله:" وفي الإنجيل الذي بأيديكم: أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح- وقد سقاهم كأسا من خمر- قال:(إني لا أشربها معكم أبدا حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله[1]) [2]، وقد علق القرطبي على هذا النص قائلا:" وهذا نص لا يحتمل التأويل إلا مع ضعف"[3].

* وفي الإنجيل أيضا:(ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا؟ أجابهم يسوع، وقال: الحق أقول لكم، أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم، إعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية[4]) [5].

* وفي الإنجيل أيضا أنه قال لتلاميذه في وصية وصاهم بها: (لتأكلوا وتشربوا على مائدتى في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر[6]) [7].

* وقال أيضا – المسيح- لليهود:(إن كان موسى أطعمكم خبزا في المفاوز، فأنا أطعمكم خبزا سماويا[8]) [9].

---

(1) نص الإنجيل:"**وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي:** (متى:26 / 29).

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص263.

(3) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص.445.

(4) ينظر: نص الإنجيل:" **وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ، قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ**" (يوحنا: 6/ 25/ 27).

(5) بين الإسلام والمسيحية،الخزرجي، ص.264.

(6) نص الإنجيل:"**لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ**" (لوقا: 22/ 30)

(7) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.264.

(8) لم يشر الخزرجي إلى هذا النص، في حين نجد الإمام القرطبي قد أشار إليه في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس، مردفا إياه بتعليق قائلاً:"والإستشهاد في غير موضعه لأنه يشير إلى أيام نبي الإسلام ﷺ" أنظر: الإعلام للقرطبي، ص.446).

(9) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص264.

* وقال إشعيا: (أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا، وكلوا، وهلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا[1])[2].

إلى جانب ذكره لأدلة من نصوص الأناجيل، فقد استأنس الخزرجي – كعادته- بشواهد من القرآن الكريم تؤكد على وجود ثواب أخروي ونعيم في الجنة من ذلك استدلاله بهذه الآية الكريمة التي يقول فيها عز وجل: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

ومن جهة العقل:ذهب الخزرجي إلى القول بأن الذي خلق هذه الأجسام بعد فنائها قادر على أن يبعثها بغير فساد ولا استحالة، وأن يجعلها تتذوق من اللذات والآلام بما تستدعيه طبيعة هذه الأجسام[4].

وبعدما انتهى الخزرجي من سرد هذه الشواهد من كتب النصارى والتي تؤكد صحة نعيم الجنة وملذاتها، خلص إلى القول بأن ما ذهب إليه القسيس من القول بإنكار نعيم الجنة بالرغم من وجود ما يؤكد ذلك من كتبهم، ينم عن جهل كبير بكتبهم وكفره بما جاء به عيسى عليه السلام وذلك قوله:"وهذا كله يبين ما كفرت به، ويوجب ما أنكرته في كتابك"[5]، وقوله عز وجل أيضا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[6].

وإذا وجهنا وجهنا شطر علماء الأديان اللاحقين للإمام الخزرجى نجد الإمام القرطبي يذكر هذا الدليل ويطيل فيه، وقد وافق في ذلك ما ذهب إليه الخزرجى من عدم استحالة إعادة الأجسام وتمتيعها بنعيم الجنة، يقول:" فإن الإعادة إنما هي خلق ثان، ومن قدر على الخلق الأول قدر على الخلق الثاني، وهذا معلوم بنفسه، فهو إذن فعل ممكن في نفسه، ليس من قبيل الممتنع"[7].

---

(1) جاء في سفر إشعياء ما نصه:" **أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا" (إشعياء:55/ 1)**

(2) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.263 – 264.

(3) سورة الواقعة، الآية: 19.

(4) ينظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.261.

(5) المرجع السابق، ص.265.

(6) سورة الحجر، الآية:47.

(7) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص.433.

مجمل القول إن رسالة القسيس جاءت نصرة للنصرانية من خلال إثارته لجملة من الشبه حول الإسلام ورسوله محمد ﷺ، وقد رد عليها الإمام الخزرجي مفندا أقواله وصد شبهاته عن الإسلام بأدلة وبراهين عقلية ونقلية تنوعت بتنوع منهجه ونظرته إلى الشبه المطروحة في رسالة القسيس.

و أمام هذا المنهج الذي سلكه الخزرجي في الرد على خصمه، نطرح السؤال التالي:

هل انفرد الخزرجي في رده على القسيس بمنهجه الخاص، أم أنه سار في ذلك على نهج غيره من العلماء كابن حزم والجويني؟

وهل استطاع الخزرجي أن يؤثر في غيره من العلماء اللاحقين به؟

هذا ما سنحاول الإحاطة به قدر المستطاع في هذا الفصل ضمن ما سيأتي من مباحث.

الفصل الثالث

أبو عبيدة الخزرجى بين التأثير والتأثر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تأثر الخزرجى بمن سبقه

المبحث الثاني: تأثير الخزرجى في غيره

المبحث الأول: تأثر الخزرجي بمن سبقه

كان من الطبيعي كغيره من علماء عصره أو كسابقيه أن يتأثر الخزرجي بمن سبقه، ويؤثر أيضا فيمن جاء بعده، وإن كان أبو عبيدة – رحمه الله – لم يشر في كتابه إلى أخذه عن غيره، ولكن من خلال البحث والمقارنة بين ما جاء في كتابه" مقامع الصلبان"(بين الإسلام والمسيحية) وبين ما جاء في كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"لابن حزم، يتضح أنه تأثر به وأخذ عنه.

ولهذا آثرت أن أخصص هذا المبحث– إنشاء الله تعالى – لدراسة مقارنة بينه وبين نظيره ابن حزم، مبينا مكامن التأثير في ذلك.

المطلب الأول: تأثره بابن حزم (ت 456)

أولا: التعريف بابن حزم

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الفارسي الأصل الأموي اليزيدي القرطبي الظاهري.ولد الإمام ابن حزم بقرطبة سنة 384هـ/ 994م[1]،سمع من أبي عمر أحمد بن الجسور ويحيى بن مسعود بن وجه الجنة ويوسف ابن عبد القاضي وغيرهم... نشأ ابن حزم يتيما فاحتضنته نسوة في القصر وعلمنه القرآن والشعر إلى أن اشتد عوده، فكان حافظا للقرآن والحديث وعلومها، وتقلد الرياسة، و هذا كله لم يمنعه من التبحر في العلوم.

توفي رحمه الله يوم الخميس 456هـ/ 1064م.[2]

---

(1) voir : Ibn Hazm philosophy and tHoughts on science, professor Salim al-hassani s - lah Zaimeche, fpundation for science Technology and civilisation, Husamaldin tayeh, 2003- 2004, p.2.

(2) ينظر: كتاب تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، ج3، (بدون طبعة) ص. 1146. الصلة، ابن باشكوال، ج3، ص.605.

ثانيا: التعريف بكتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل"

يعتبر كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل موسوعة في دراسة الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية، وقد قسمه إلى خمسة أجزاء:

الجزء الأول:تناول فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وعدد من فرقهم، ثم ناقش الإنجيل والتوراة مناقشة علمية مبينا ما جاء فيها من تناقضات وافتراءات، وقد ختم هذا الجزء بالحديث عن التناسخ مع عرض مستفيض لحقيقة الروح في منهج الإسلام، كما دافع في هذا الجزء على الفلسفة باعتبارها جزءا مهما في إصلاح النفس ما لم تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

وفي الجزء الثاني: تكلم عن الأناجيل الأربعة وبين ما فيها من تناقض وكذب، ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن فرق أهل الإسلام وخروج عدد منها عن الإسلام، وقد أفرد الكلام أيضا على التوحيد وقضايا الذات والصفات الإلهية وما يتصل بهذه القضايا من آراء وأفكار، ثم إن ابن حزم في تفنيذه لبعض نصوص التوراة والإنجيل يعتمد في المقام الأول على الأولويات العقلية والمقدمات البديهية، حيث يذكر نص الإنجيل أو التوراة ثم يتبعه بدليل يفند ما جاء فيه.

أما الجزء الثالث من كتابه، فقد عقده للحديث عن إعجاز القرآن الكريم والقضاء والقدر، والاستطاعة، والهدي، والتوفيق، والطاعة والمعصية...وقد حضيت مشكلة الجبر والاختيار باهتمام واسع من لدن ابن حزم.

أما الجزء الرابع فقد تناول فيه قصة الأنبياء والرسل والكلام عن الملائكة، والشفاعة والكلام عن القيامة والشفاعة وتغيير الأجساد...ثم ذكر بعض شنع الشيعة والخوارج.

أما الفصل الخامس والأخير من كتابه فقد تناول فيه مسألة السحر والمعجزات والجن، ونبوة النساء، والفقر والغنى، والجوهر والأعراض...[1].

(1) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم.

لكن ما يؤاخذه العلماء على ابن حزم أنه كان سليط اللسان مع خصمه حتى قيل فيه بأن لسانه وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين[1]، والمنهج نفسه سار عليه الخزرجى في مجادلته للنصارى، حتى بلغ به الأمر إلى نقل نصوصه دون الإشارة إليها، والجدول التالي يبين مدى تأثير أبو محمد على أبي عبيدة:

القضايا	ابن حزم الأندلسي	أبو عبيدة الخزرجى
* إقرار فرق اليهود بتبديل التوراة	"بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة. وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة، إلى آخره"[2]	"واليهود تقر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة(...) وكذلك يقرون أن السامرية- وهي فرقة منهم- يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف، ولعل الفريقين صادقان"[3]
* العالم الأعلى	"...قدماء الهند قد ذكروا في كلامهم في الأفلاك والبروج ووجوه المطالع أنه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها، وذكروا أنه ليس في هذا العالم صوره إلا وهي في العالم الأعلى. قال أبو محمد: وهذا إيجاب منهم أن هنالك ملابس ومشارب ومطاعم ووطءا، وأنهارا وأشجارا، وغير ذلك"[4]	"إن قدماء الهند ذكروا في كتبهم أن في الأفلاك والبروج، ووجوه المطالع صورا وصفوها، وذكروا أنه ليس في العالم الأدنى صورة إلا وهي في العالم الأعلى. وهذا إيجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس، وأكلا وشربا، وأنهارا وأشجارا، وغير ذلك"[5]

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص. 18 – 20.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج1، ص202.

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.224.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج2، ص.261.

(5) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.262.

* نعيم الجنة	"أن الله عز وجل خلق أنفسنا ورتب جواهرها وطباعها الذاتية رتبة لا تستحيل البتة على التذاذا المطاعم والمشارب والروائح الطيبة، والمناظر الحسنة، والأصوات المطربة، والملابس المعجبة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا (...) وتلك الأجساد لا كدر فيها ولا خلط ولا دم ولا أذى، وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا حسد ولا حرص قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾[1][2]	" لأن الله تعالى خلق أنفسنا، ورتب جواهرها، وطبائعها الذاتية ترتيبا، لا يستحيل معها البتة أن تتلذذ بالمطاعم والمشارب، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر وهي أنفسنا. وهذا مما لا يدفع فيه أحد(...) وكما أن تلك الأجساد لا كدر فيها، ولا خلط، ولا دم، ولا أذى، فكذلك تلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد، ولا من حرص، ولا غير ذلك من أمراض نفوس هذه الدار الفانية، كما أخبرنا الخالق سبحانه بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3][4]

فمن خلال هذه المقارنة بين ما ورد عن ابن حزم والخزرجي حول قضية طبيعة المسيح، يتبين لنا من طرحهما اعتماد كل منهما على المنهج العقلي في الرد على النصارى، فكل منهما حاول إثبات الشقين معا كما آمن بذلك النصارى، الشق اللاهوتي والشق الناسوتي للمسيح عليه السلام بناء على ما جاء في نصوصهم، وكلاهما حاول إثبات تناقض النصارى في تناولهم لهذه القضية وكذبهم فيها وتخبطهم في طبيعة المعبود أو الإله.

وأشير إلى أن تأثر الخزرجي بابن حزم كان واضحا في بعض القضايا، حيث أخذ قام بنسخها كما هي دون الإشارة إليها، يقول عبد الإله الجامعي ذلك:" al- khazraji reproduit ici littéralement un passage du kitab alfisal d'Ibn Hazm"[5] ومعنا هذا النص: أن الخزرجي قد استنسخ حرفيا من كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل.

---

(1) سورة الحجر، الأية:47.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج2، ص. 259 – 260.

(3) سورة الحجر، الآية: 47.

(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.261 – 262.

(5) voir : Ibn Hazm et la polémique islamo- chrétenne dans L'histoire de l'islam ; Abdelilah Lajami ; p. 115

ويتضح التأثير جليا عند الخزرجي من خلال تناوله للنصوص نفسها التي اعتمدها ابن حزم في الرد على النصارى، بالإضافة إلى اعتماده نفس المنهج الذي سار عليه ابن حزم، فقد حاول طرح إشكاليات وأسئلة على الخصم لا يتم الوصول إلى حلها إلا بإعمال المنطق والعقل من خلال توظيف ما ورد في كتابهم من نصوص، وهو السبيل نفسه الذي نهجه ابن حزم في الرد على اليهود والنصارى.

إلا أن هذا التأثير وإن كان فهو قليل جدا، وذلك راجع إلى أن ابن حزم رحمه الله قد اهتم بالديانة اليهودية أكثر من النصرانية، في حين ركز الخزرجي على مجادلة النصارى، الأمر الذي يفضي إلى القول بأن الخزرجي، وإن تأثر بابن حزم في بعض القضايا، فقد استطاع أن يسلك منهجا خاصا به جعله محط اهتمام من قبل كثير من العلماء والدارسين الذين جاءوا بعده كالقرطبي والقرافي، حيث راحوا ينقلون عنه ويطيلون في النقل، حتى إن القارئ حين يقارن بين كتاب الخزرجي وبين كتب هؤلاء يجدها كأنما هي نسخا واحدة، وهو ما سنوضحه في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: تأثير أبو عبيدة الخزرجي في غيره.

من خلال ماسبق ذكره من تأثر الخزرجي بابن حزم، يمكن أن نتساءل عما إذا كان الخزرجي قد اكتفى بالأخذ عمن سبقه والتأثر بمناهجهم دون أن يترك أثره فيمن جاء بعده من علماء الجدل الديني؟

وهو الإشكال الذي سيتم الجواب عليه من خلال المقارنة بينه وبين من لحق به، من أمثال القرطبي، وشهاب الدين القرافي.

المطلب الأول: تأثيره في الإمام القرطبي (ت 671 هـ)

أولا: التعريف بالقرطبي

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي، أخذ علومه عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي كما أخذ أيضا عن أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما، هاجر القرطبي إلى مصر لما ضاق به الحال في قرطبة جراء غزو النصارى لها إلى أن توفي بها سنة 671 هـ.

من مؤلفاته:

"جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن " و " الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى" وكتاب" التذكار في أفضل الأذكار" وغيرها من المؤلفات التي حفلت بها الخزانة الإسلامية والعالمية ككتاب "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام"[1]

ثانيا: التعريف بكتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام

ألفه القرطبي وحققه الدكتور أحمد حجازي السقا، وهو كتاب لا يقل أهمية عن غيره من كتب الجدل الديني في الأندلس التي جاءت في الرد على النصارى ودفع شبهاتهم

---

(1) ينظر: الديباج المذهب، ص.406 – 407، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور اللآخرة، القرطبي، تحقيق: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، 1425هـ، الطبعة الأولى، ج1، ص.26 – 41.

عن الإسلام، وإظهار ما فسد من عقائدهم وما اعتراها من تحريف، وكتابه هذا جاء ردا على كتاب ألفه أحد النصارى سماه" تثليث الوحدانية" بعث به من " طليطلة" إلى " مدينة " قرطبة ".

وأشير هنا إلى وجود اختلاف في نسبة هذا المؤلف إلى القرطبي المقصود بالبحث هنا أو نسبته إلى القرطبي المفسر، وهو الاختلاف الذي أدرجه محقق كتاب " الإعلام" في مقدمته حيث أورد آراء بعض المفكرين في الموضوع واستشهد بما ورد في " الديباج المذهب" من عدم ذكر كتاب **" الإعلام "** ضمن مصنفات القرطبي، في حين استشهد برأي مخالف لما سبق لـ"كارل بروكلمان" الذي قال بنسبة الإعلام إلى القرطبي مؤلف تفسير القرآن الكريم[1].

هذا وقد اشتمل الكتاب على أربعة أجزاء، تناول في الجزء الأول مذاهب النصارى في الأقانيم والاتحاد والحلول وإبطال أقوالهم فيهما، وأما الجزء الثاني فقد خصصه للحديث عن النبوات وذكر كلام النصارى فيها، فأما الجزء الثالث تناول فيه مسألة إثبات نبوة محمد ﷺ، والجزء الرابع والأخير بين فيه تحكم النصارى في أديانهم[2].

القضايا	الخزرجى	القرطبي
* الاختلاف حول التوراة بين اليهود والنصارى	"وكذلك يقرون أن السامرية- وهي فرقة منهم- حرفت التوراة تحريفا بينا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف(...) وأنتم أيضا تدعون أنهم حرفوا في التوراة التاريخ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألف سنة، ونحو المائتين من السنين"[3]	"وكذلك يقرون ولا ينكرون: أن طائفة منهم يقال لهم: السامرية، حرفوا التوراة تحريفا بينا كثيرا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف. وكذلك النصارى أيضا يدعون على اليهود: أنهم حرفوا في التوراة: التاريخ، ويزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم ﷺ ألف سنة، ونحو المائتين"[4]

---

(1) الإعلام بما في دبن النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص.5.

(2) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد، القرطبي.

(3) بين الإسلام والمسيحية، ص.224 – 225.

(4) القرطبي، الإعلام، ج2، ص.191.

* تناقض نصوص الإنجيل فيما بينها	"وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه قال: (إن كنت أشهد لنفسي، فشهادتي غير مقبولة، وغيري يشهد لي)[1] ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال: (إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب)[2] أخبرني ! كيف تكون شهادته حقا وباطلا، ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟"[3]	"وفي الإنجيل أيضا أنه قال:(إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي مقبولة، ولكن غيري يشهد)[4] ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال:(إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق. لأني أعلم من حيث جئت وإلى أين أذهب)[5] فكيف تكون شهادته حقا وباطلا، ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب إلى الله؟"[6]
* تناقض النصوص	"وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه- بظنكم- قال: (الآن قد جزعت نفسي فماذا أقول يا أبتاه؟، فسلمني من هذا الوقت)[7].وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحا عظيما، وقال: (إيلي إيلي لم شبقتني، وترجمته: إلهي لم أسلمتني؟)[8] ...ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك:(من أحب أن يقفوا أثري فليوهب نفسه)[9]. فحرص على إتلاف النفوس، فكيف يجزع هو مما حرص عليه قبل؟، أم كيف يكون إلها وتجزع نفسه؟"[10]	"وفي الإنجيل أيضا أنه حين استشعر بوثوب يهوذا عليه، قال: (قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني في هذا الوقت)[11].وأنه حين رفع إلى الخشبة صاح صياحا عظيما وقال:(آلي. آلي. لم عد بتاي؟ وترجمته: إلهي، إلهي، لم أسلمتني؟)[12] "...ثم في موضع آخر منه: أنه قال قبل ذلك: (من أحب أن يقفوا أثري، فليذهب نفسه)[13].فحرص على إتلاف النفوس، فكيف يجزع مما يحرص عليه من قبل؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه؟ "[14]

(1) إنجيل يوحنا: 5/ 31.

(2) إنجيل يوحنا: 8 / 14

(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.140.

(4) إنجيل يوحنا: 5/ 31.

(5) إنجيل يوحنا: 8 / 14.

(6) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ج2، ص. 206.

(7) إنجيل متى: 26/ 38 – 42.

(8) إنجيل متى 27/ 46.

(9) أصل نص الإنجيل:"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. 35 فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا"، إنجيل مرقس: 8/ 34 – 35.

(10) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 141.

(11) إنجيل متى، متى: 26/ 38 – 42.

(12) متى 27/ 46.

(13) إنجيل مرقس: 8/ 34 – 35.

(14) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ج2، ص. 207.

بعد هذه المقابلة بين نصوص الخزرجي ونصوص القرطبي، يتضح لنا جليا تأثير الخزرجي الشامل على القرطبي، فقد أخذ هذا الأخير النصوص كما هي، عدا بعض التعبيرات الطفيفة وبعض الكلمات، وفي مواضع أخرى نقل القرطبي النصوص دون التصرف فيها وأحيانا" دون مراعاة منهجية التأليف، إذ يبدوا أنه كان يضع كلام الخزرجي كما هو في مؤلفه الإعلام"[1].



(1) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم الخزرجي)، د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص.264.

المطلب الثاني: تأثيره في شهاب الدين القرافي (ت 684 هـ)

لم يقتصر تأثير الخزرجي على علماء الأندلس فحسب، بل امتد إلى علماء المشرق، ولعل تأثيره في شهاب القرافي- على الرغم من مرور قرن من الزمن- دليل واضح على هذا الأمر، وليس هذا فحسب بل إن هذا التأثير يكشف عن التقاء المشرق والمغرب الإسلاميين في قضايا واحدة، كما يكشف عن ذاك التشارك الثقافي الذي ظل قائما بين الأندلس والمشرق[1].

أولا التعريف بالإمام القرافي:

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله ابن يلين الصنهاجي البهفشيمي المصري، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب الإمام مالك، زقد كان رحمه الله بارعا في العلوم العقلية والفقه والأصول، أخذ العلم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي الملقب بسلطان العلماء، كما أخذ عن محمد بن عمران وعم شمس الدين أبي بكر، ترط مصنفات عديدة منها: " الذخيرة" و" شرح التهذيب" و" التنقيح"وكتابه المشهور في الرد على النصارى الذي سماه" الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة" وغيرها من المؤلفات، توفي رحمه الله سنة 684هـ[2].

ثانيا: التعريف بكتابه" الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة":

يعد كتاب الأجوبة الفاخرة من بين الكتب العلمية المهمة في مجال علم مقارنة الأديان الذي أفرده الباحثون بالدراسة والتحليل لما تضمنه من ردود علمية على بعض شبهات اليهود والنصارى، وهو من المراجع المهمة في هذا الباب، وإن كان يؤخذ عليه كثرة نقله عن غيره دون عزو النصوص إلى أهلها، فقد جاء كتابه هذا ردا على النصارى من خلال سرد بعض شبههم حول الإسلام وتفنيدها بمنهج علمي جمع فيه بين المنهج العقلي

(1) د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب في الأندلس (ابن حزم- الخزرجي)، ص. 265.

(2) ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون المالكي، ص.128 - 129.

والنقلي والتاريخي. وقد قال صاحب تحقيق الأجوبة الفاخرة مجدي محمد الشهاوي:" يعتبر هذا الكتاب – بحق وصدق – رائعة من روائع المؤلف ودرة ثمينة من درره الغالية وكنزا من كنوزه التي لا تبارى"[1]

وقد قُسم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب، خصص الباب الأول للجواب عن أسئلة أهل الكتاب على وجه الاختصار دون الإكثار في الانتصار، ثم عقد الباب الثاني من الكتاب للجواب عن الأسئلة التي عبث بها أهل الكتاب، وفي الباب الثالث خصصه لسرد نصوص من أناجيل النصارى المتناقضة فيما بينها، مكتفيا بذكرها دون التعليق عليها ليزهق الباطل بالحق والصخب بالصدق كما قال القرافي، ثم جعل الباب الرابع والأخير من هذا الكتاب لسرد أدلة من كتب اليهود والنصارى وكتب المسلمين الدالة على صحة الدين الإسلامي وصحة نبوة محمد ﷺ[2].

والجدول التالي يعكس إلى حد بعيد مدى تأثير الخزرجي في شهاب الدين القرافي، على الرغم من مرور زمن طويل بينهما، بحيث ظل القرافي ينقل عن الخزرجي ويكرر كلامه في جل القضايا التي تناولها، كقضية صلب المسيح وتحريف التوراة وإلقاء الشبه على نبي الله عيسى عليه السلام

والجدول الموالي يبين أوجه التشابه بين نصوص الخزرجي ونصوص شهاب الدين القرافي:

(1) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص.6 – 7.

(2) ينظر: الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص.199.

القضايا	أبو عبيدة الخزرجي	شهاب الدين القرافي
* نفي نسبة الأناجيل إلى الله	"ومن طالع كتبكم، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أهل سبأ، وأنكم لا تلزمون مذهبا، وليس هذا بغريب فأناجيلكم ما هي إلا حكايات، وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو، أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل..."(1)	"ومن طالع كتبهم وأناجيلهم، وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيدي سبأ، وأن القوم لا يلتزمن مذهبا. والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ، وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم، حتى أني أحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عند المسلمين أصح نقلا من الإنجيل..."(2)
* لب المسيح بين الحقيقة والافتراء	"جاء في الإنجيل أن المصلوب قد استقى اليهود، فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادى إلهي ! إلهي ! لم خذلتني؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوي أربعين يوما وليلة،ويقول للتلاميذ:(إن لي طعاما لستم تعرفونه)(3)، ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوما وأربعين ليلة، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس،فكيف بخواص الأنبياء؟"(4)	"مافي الأناجيل:المصلوب استقى اليهود فأعطوه خلا مذاقا بمر فذاقه ولم يسغه، فنادى إلهي إلهي لم خذلتني؟" والأناجيل مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوي أربعين يوما وأربعين ليلة ويقول للتلاميذ:(أن لي طعاما لستم تعرفونه)(5)،ومن يصبر أربعين يوما على الجوع والعطش، كيف يظهر لحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه وأعداء الله بسبب عطش يوم وليلة؟؟،(...) هذا ما لا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟؟"(6)
* القول بإلقاء الشبه على غير عيسى	"ولعلك تقول: إن القول بإلقاء الشبه (عليه السلام) يفضي إلى السفسطة والشك في الحقائق، والدخول، حينئذ في الجاهلات، وما لا يليق بالعقلاء، لأننا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره، فإن الإنسان إذا رأى ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه(...)، إن قولك هذا ليس عليه تعويل، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشئ حكم مثله"(7)	"قالوا: "القول بإلقاء الشبه على غير عيسى (عليه السلام) يفضي إلى السفسطة، والدخول في الجاهلات وما لا يليق بالعقلاء... ...إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأذنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه، لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليهم، (...)،أن هذا تهويل ليس عليه تعويل، بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشئ حكم مثله "(8)

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.149 – 150 .
(2) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص. 25.
(3) إنجيل يوحنا:4 / 32.
(4) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.155.
(5) إنجيل يوحنا:4 / 32.
(6) الأجوبة الفاخرة،القرافي، ص. 80.
(7) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص. 156 – 157 .
(8) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص. 81 – 82.

4. اختلاف التوراة بين فرق اليهود والنصارى	"وكذلك يقرون أن السامرية- وهي فرقة منهم- حرفت التوراة تحريفا بينا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شئ يوثق به، مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود، فكفونا بأنفسهم من غيرهم"[1]	"طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفا شديدا، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شئ يوثق به من تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود؟ فكفونا بأنفسهم من غيرهم"[2]
5. احتكام الأنبياء إلى الإنجيل	"فإن قلتم: كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام، والأنبياء معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون من دعوى التحريف، ويحتم عليهم أن يوافقونا على حكم النبيين بها، لقول القرآن الكريم (يحكم بها النبيون) قلت: الجواب من وجهين: أحدهما: لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها. وثانيهما: أن كل شئ حكموا به، فهو صحيح. ولكن لم قلتم: إنهم حكموا بجملتها..."[3]	"فإن قالوا: فقد كان النبيئون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام والأنبياء عليهم السلام معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون، فإنهم وافقونا على حكم النبيين بها، لقول القرآن:(يحكم بها النبيون) قلنا الجواب من وجهين: أحدهما: لعل النبيين عليهم السلام كان يوحي إليهم بالصحيح منها. ثانيهما: نسلم أن كل شئ حكموا به هو صحيح، فلم قلتم أنهم حكموا بجملتها؟..."[4]

فبعد مرور قرن من الزمن على رد الخزرجي على النصارى في الأندلس، وجدنا القرافي يحييه من جديد في المشرق للرد عليهم ودفع شبهاتهم، مما يدل على أن عجلة الجدل الديني بين النصارى والمسلمين لم تكف عن الدوران- ويبدو أنها لن تتوقف- لينقل القرافي الرد نفسه الذي طرحه الخزرجي في كتابه "مقامع الصلبان" (بين الإسلام والمسيحية) في كثير من القضايا، مثل قضية نفي نسبة الأناجيل إلى الله والكشف عما بها من تضارب وخلط.

والدارس للقضايا الواردة عند كليهما يظهر له جليا مدى تأثر القرافي بالخزرجي خاصة في القضايا البارزة التي أثارتها كتب النصارى كقضية الصلب ومسألة انتشار الإسلام بالسيف وكذا مسألة التبشير بمحمد ﷺ... وغيرها من القضايا الأخرى التي اجتمع حولها علماء الجدل الديني سواء في الأندلس أو في المشرق الإسلامي.

---

(1) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.224.
(2) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص. 106.
(3) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص.225.
(4) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص. 106 – 107.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة لعلم من أعلام الجدل الديني في الأندلس و جهوده في جدال النصارى، حاولت قدر الإمكان أن أقف على الجوانب وبعض القضايا الدينية التي جادل فيها الخزرجي القسيس القوطي، وقد حاولت جاهدا معالجة الموضوع بتجرد وحيادية خدمة للبحث وبيانا للحقيقة دون زيف أو افتراء، فتوصلت إلى نتائج عديدة يمكن إجمالها في العناصر التالية:

* بيان الخزرجي أن التوراة التي كان يؤمن بها النصارى واليهود في الأندلس محرفة بدلائل عقلية ونقلية وتاريخية.

* كشف الخزرجي عن بطلان عقائد النصارى لمنافاتها مع العقل والفطرة السليمة لما تحويه من فواحش وشبه في حق الأنبياء الذين سبقوا عيسى عليه السلام.

* الخزرجي في جدال النصارى يعتمد في المقام الأول التوراة والإنجيل، وهذا دليل على مدى اهتمام علماء الإسلام في الأندلس بدراسة الكتاب والمقدس ونقده.

* الإمام الخزرجي وإن تأثر بابن حزم في بعض القضايا فقد كان تأثيره فيمن جاء بعده من علماء الجدل بالغا(وهنا أشير أن قلة المعلومات حول الخزرجي وعدم تداول كتبه بين الناس جعل البعض ينقل ما كتب دون الإشارة إليه).

* الخزرجي في نقده للتوراة والإنجيل اعتمد على منهج ثلاثي هم كل من: المنهج النقلي والمنهج العقلي ثم المنهج التاريخي.

هذا جزء قليل مما تمت الإشارة إليه من جهود الخزرجي في جداله للنصارى بالأندلس أمام باقي مصنفاته، التي ألقيت في رفوف الإهمال والنسيان عرضة لعوادي الزمن. في انتظار فرصة تسمح لنا بتحقيق ما خطه خدمة لتراثنا الإسلامي.

لائحة المصادر والمراجع

❋ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

❋ الكتاب المقدس، وقد ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط1985 - Arabic Bible 43 30. 1M.

❋ صحيح البخاري، دار ابن كثير دمشق، بيروت،الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م.

❋ ابن رشد-الفيلسوف العالم، عبد الرحمن التليلي، المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1998.

❋ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، القرافي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/ م، الطبعة الأولى2005.

❋ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تقديم الأستاذ يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.

❋ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عدنان، لسان الدين ابن الخطيب، المجلد الأول، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة،الطبعة الثانية، 1978.

❋ الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، عبد العظيم المطعني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1992م.

❋ أصول البحث، الدكتور.عبد الهادي الفضلي، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، دار المؤرخ العربي، بيروت،الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

❋ إظهار الحق، رحمت الله الهندي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الجزءالأولى، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1989م.

❋ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الإمام القرطبي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

* آفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، الطبعة الأولى، 1988، دار المعرفة، دمشق.
* الإمام القرافي وجهوده في الرد على اليهود والنصارى، عبد الخالق مسعد عبد السلام، سلسلة الرسائل الجامعية العدد 12، دار الكتب المصرية، القاهرة،الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.
* الإنجيل دراسة وتحليل، محمد شلبي شتيوي، مكتبة الفلاح، الكويت،الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.
* الأندلس التاريخ المصور، طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري، الكويت،الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2005م.
* الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، عصمت عبد اللطيف دندش، بيروت،الطبعة الأولى،1988.
* البيان المغرب في أخبار الأندلس، ابن عذارى، دون طبعة.
* بين الإسلام والمسيحية، الخزرجى، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور محمد شامة،مكتبة وهبة، القاهرة،الطبعة الرابعة، 1428هـ/ 2007.
* تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997.
* تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكرياء عناني، دار المعرفة الجامعية، طبعة 1999.
* تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة،الطبعة الثانية، 1417هـ/ 1996م.
* تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، بسمة أحمد جستنية، دار القلم، دمشق،الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م.
* التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، سارة بنت حامد محمد العبادي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة،الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.
* تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تقي الدين الجعفري، دراسة وتقديم، خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، 2005م.

* التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة 1958.
* التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
* الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، د.خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 2001.
* جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، طبعة 1393هـ1973-م.
* جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة.
* الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، مصر،الطبعة الأولى، 1980.
* حكايتنا مع الأندلس، عدنان فائق عنبتاوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1989.
* حوار الأديان في الأندلس، أبي العباس القرطبي، تقديم وتعليق وتحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مدبولي الصغير، بدون طبعة.
* الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها على الأدب العربي والأدب الأندلسي، محمد سعيد الدغلي، منشورات دار أسامة، الطبعة الأولى، 1984/ 1303هـ.
* دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، جوايتاين، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980.
* دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/ 1990.
* الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق: مأمون بن محيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م.

* الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت لبنان.
* رسالة التثليث والتوحيد، يس منصور، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1963.
* سيرة النبي ﷺ، ابن هشام، تحقيق: مجدي فنحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا،الطبعة الثانية، 1416هـ/ 1995م.
* شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، عبد الملك بن عبد الرحمن بن يوسف الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، (بدون طبعة).
* الصلة، ابن باشكوال، تحقيق ابراهيم الأبياري،دار الكتاب اللبناني، بيروت،الطبعة الأولى، 1410هـ1989-م.
* عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية (نموذج تفسيري جديد)، دار الشروق، القاهرة،الطبعة الثانية، 2002م.
* العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، أبراهام مالمات- حييم تدمور، ترجمة وتقديم الدكتور:رشاد عبد الله الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.
* عقيدة الصلب والفداء، مطبعة المنار، السيد محمد رشيد رضا، مصر، (بدون طبعة).
* غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق: ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.
* الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن الباجي زاده، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات العربية المتحدة، طبعة 1407هـ/ 1987م.
* فجر الأندلس، حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، 1405/ 1985م.
* الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق:الدكتور محمد إبراهيم نصير والدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت،الطبعة الثانية، 1416هـ/ 1996م.

* قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكسندر طمسن، ذ. إبراهيم مطر، جميع الحقوق محفوظة لشركة compubraill.
* قصة العرب في الأندلس، علي الجارم بك، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، (بدون طبعة).
* قلائد العقيان، الفتح ابن خاقان، Oriental Institute Library Ocsford University.
* الكنيسة المسيحية في عهد الرسل، نيافة الأنبا يؤانس، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، الطبعة الثالثة،1987م.
* كتاب في الفلاحة، ابن خير الأندلسي، نشره الفقيه التهامي الناصري الجعفري، المطبعة الجديدة، فاس، 1358هـ/ 1957م، الجزء الثاني، ص.1368.
* اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري، صححه وعلق عليه:د.حمودة غربة، مكتبة الخانجي،القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1955.
* الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية 2004م.
* محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة،طبعة 1381هـ/ 1961م.
* مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، طبعة 1989.
* المسيح في مصادر العقائد المسيحية- خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب، المهندس أحمد عبد الوهاب، - مكتبة وهبة، بايدن، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م.
* المسيح والتثليث، الدكتور: محمد وصفي، تقديم الكاتب الإسلامي الكبير: محمد عبد الله السمان، مراجعة: علي الجواهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (بدون طبعة).
* مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة،القس شمس الرئاسة أبو البركات، المعروف بـ ابن كبر، مكتبة الكاروز، الجزء الأول، (بدون طبعة).

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب،(من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع مايتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب)، عبد الواحد المراكشي، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة،القاهرة، طبعة 1283هـ/ 1963.

* معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط2،1411هـ/ 1991م.

* معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414 هـ/ 1993م.

* المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، 1425هـ/ 2004م

* المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ابن الأبار، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس، طبعة 1885.

* المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف 1119،كورنيش النيل، القاهرة، طبعة 1955.

* مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، تحقيق عبد المجيد الشرفي،الجامعة التونسية، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الإقتصادية والإجتماعية.(بدون طبعة).

* مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح، دة.مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م.

* مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروق بقاعة ألبرت بلندن، علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة،(بدون طبعة).

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة الرابعة، 1420هـ.

* موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ج6، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

* نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم، عز الدين عناية، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2010م.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة 1408هـ/ 1988م.
* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، تقديم وتحقيق وتعليق:الدكتور أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1399هـ/ 1979م.
* هل افتدانا المسيح على الصليب؟ منقذ بن محمود السقار، سلسلة الهدى والنور، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م.
* هل العهد الجديد كلمة الله؟، منقذ بن محمود السقار، الطبعة الأولى، 142هـ/ 2007م.

المصادر الأجنبية:

1. Ibn Hazm et la polémique islamo- chrétenne dans l'histoire de l'islam ; Abdelilah Lajami ; leiden ; boston brill ; 2003.
2. Ibn Hazm philosophy and thoughts on science, professor Salim al-hassani salah zaimeche, foundation for science technology and civilisation, husamaldin tayeh, 2003- 2004

لائحة المجلات:

1. مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)، د. راجح شلبي، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2008م.
2. مجلة دراسات أندلسية، الحسين يعقوبي، قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، العدد:5، (1411هـ-1990م).



المواقع الإلكترونية:

1. http://www.4uarab.com
2. homeeconomics.netgoo.or
3. http://ar.wikipedia.org





الفهرس